أغاني الحياة

ديوان شعر أبى القاسم الشابى

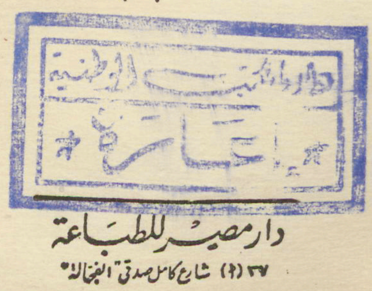
مع ثلاثة رسوم بريشة الفنان حاتم المكى

الطبعة الأولى

ملتزم الطبع والنشر

دار الكتب الشرقية

١٩٥٥



دار مصر للطباعة
٣٧ (٢) شارع كامل صدقى "الفجالة"

أغاني الحياة

هو ديوان أبي القاسم الشابي نخرجه كما أعدَّهُ، وعلى الترتيب الذي اختاره له، فلم نتصرف فيه إلا بإضافة القصائد التالية التي لم يثبتها الشاعر وهي :

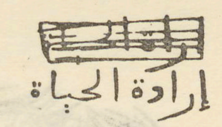
« نظرة في الحياة »، « أنشودة الرعد »، « في الظلام »، « أيها الليل »، « شعري »، « أيها الحب »، « أغنية الأحزان »، « جدول الحب ».

وكان الشاعر يتعهد شعره بالمراجعة من حين لآخر، فيصلح منه ؛ وسيدرك مدى هذا التنقيح كل من يتسنى له أن يقابل بين ما قد نشر من شعره، وبين هذا الديوان .

م . أ . ش



أبو القاسم الشابي



إرادة الحياة

إذا الشعب يوماً أراد الحياة   فلا بدّ أن يستجيب القدر
ولا بدّ لليل أن ينجلي   ولا بدّ للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة   تبخّر في جوّها، واندثر
فويل لمن لم تشقه الحياة   من صفعة العدم المنتصر
كذلك قالت لي الكائنات   وحدّثني روحها المستتر

•

ودمدمت الريح بين الفجاج،   وفوق الجبال، وتحت الشجر:
«إذا ما طمحت إلى غاية   ركبت المنى، ونسيت الحذر»
«ولم أتجنّب وعور الشعاب   ولا كبّة اللهب المستعر»
«ومن لا يحبّ صعود الجبال   يعش أبد الدهر بين الحفر»
فعجّت بقلبي دماء الشباب   وضجّت بصدري رياح أخر...
وأطرقت، أصغي لقصف الرعود،   وعزف الرياح، ووقع المطر

•

صفحة بخط المؤلف من أغاني الحياة.

ترجمة المؤلف

بقلم

محمد الأمين الشابي

أبو القاسم الشابى

١٩٠٩ — ١٩٣٤

من أبناء القرن العشرين الذين نشأوا فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، أيام كان العالم العربى يتعثر بين حاضره الأليم وماضيه القريب المنقوص ، ودعاة الإصلاح وأنصار الجديد فى تلك الفترة الانتقالية ، إنما يلقون جحوداً وأذى لا تزيدهما سيطرة الغرب على الشرق، وشموخه بحضارته ، ووثوقه بمصيره ، إلا احتداما وسطوة لدى فريق واسع من الخاصة والعامة على السواء .

بيد أن الشاعر لم يتردد كثيراً حتى عرف سربه فانضم إليه ، ثم صدح محلقا إلى أن اختطفته يد المنون وهو فى ريعان الشباب .

* * *

كان والده[1] من خريجى الأزهر ومن مجازيه ، وبه درس أولاً ، فأقام بمصر فى أوائل هذا القرن سبع سنين ، ثم درس بتونس بجامع الزيتونة سنتين ، حصل بعدهما على « التطويع[2] » ، ثم سمى قاضياً شرعياً لسنةٍ من ولادة بكره أبى القاسم فتصرف فى قضاء كثير من البلدان التونسية .

كان يقضى يومه بين المحكمة والمسجد والمنزل حيث يتبسط مع أهله ، ولقد نشأ أبو القاسم فى سنى تكوينه الفكرى والخلقى فى كنف رعايته الصالحة يقتبس من علمه وآدابه .

---

(١) هو المرحوم الشيخ محمد بن بلقاسم الشابى سليل أسرة « الشابية » التى تمحضت للعلم بعد أن أنجبته فى القرنين العاشر والحادى عشر هـ . من حملة القلم والسيف من اكتسبت بمساعيهم مجداً سجله التاريخ التونسي .

(٢) هى إجازة نهاية الدراسة بالكلية الزيتونية فى ذلك العصر .

كان رحمه الله صادق التقى ، قوىّ العقيدة لايخشى فى الحق لومة لائم ، لهغيرة على شئون المسلمين والإسلام ، تنفعل بما يجرى آنذاك من أحداث بالشرق العربى وطرابلس الغرب أو بلاد الريف .

قال الشاعر متحدثا عن أبيه ! « إنه أفهمنى معانى الرحمة والحنان ، وعلمنى أن الحق خير مافى هذا العالم وأقدس مافى هذا الوجود [1] » .

* * *

لم ينشأ أبو القاسم بمسقط رأسه ، فقد خرج عنه فى سنته الأولى ولم يكد يعرفه إلا قليلا ، أثناء قَدْمَتَيْن أقام فيهما نحوا من ثلاثة أشهر ، الأولى عند ختانه فى الخامسة من عمره ، والثانية زائرا ، وقد استغرقت جولة الأسرة عشرين سنة ضربت فى بحرها بالبلاد التونسية طولا وعرضا ، متنقلة من قابس إلى سليانة فتالة ، ومن مجاز الباب إلى رأس الجبل فزغوان و بين هذه المدن من الأميال مايقدر بالمئات أحيانا ، وعلى نسبة ذلك اختلافُ العادات واللهجات والمشاهد الطبيعية : فلم تكن واحة قابس كبسائط مجاز الباب يغمرها الحصيد ، ولا هذه كبساتين رأس الجبل أو كجبل زغوان يكسوه شجر الصنوبر ، ولم يكن حرُّ قابس كثلوج تالة ، ولا حياة الفلاحين بمجاز الباب كحياة صيادى البحر بقابس أو رأسِ الجبل ، ولا طباعُ أهل الشمال كطباع أهل الجنوب .

هذه مراحل أبى القاسم وشبابه عملت على تضخم تجربته وتدفق شاعريته وازدهار ريشته ، بيد أن الشاعر أفاد مايفيده كل عابر سبيل متيقظٍ واعٍ ، إذا مااستقر بأرض كان ربيبها لا ابنَها الأصيل . فأطلقه هذا المصير من حدود البيئة الضيقة وأكسبه « تونسية » إنسانية الآفاق .

* * *

---

(١) كتاب « الخيال الشعرى عند العرب » صفحة الإهداء ــ وقد أهداه لوالده .

قدم أبو القاسم إلى العاصمة سنة ١٣٣٩ هـ — ١٩٢٠ م للدراسة بجامع الزيتونة في الثانية عشرة من عمره، وقد تكوّن سريعاً، وقال الشعر باكرا[1]. كوّن نفسه ثقافة واسعة عربية بحتة جمعت بين التراث العربي القديم في أزهى عصوره وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر، ولم يكن يعرف لغة أجنبية، فتمكن بفضل مطالعاته الواسعة من استيعاب ما تنشره المطابع العربية عن آداب الغرب وحضارته. وكانت أول نشراته في الصفحة الأدبية التي كانت ترتبها «النهضة» كل اثنين — سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٦ م وفي سنة ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٧ م. ظهر شعره مجموعا في المجلد الأول من كتاب «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر»[2] وفي نفس السنة ألقى بنادي قدماء الصادقية محاضرة حول «الخيال الشعري عند العرب» كانت مادة الكتاب الذي نشر بنفس العنوان في السنة التالية.

وإنك لتجده وهو يواصل دراسته ويضع شعره في صميم حركات الإصلاح التي كانت تعتلج بها النفوس آنذاك من بعث لحركة الشبان المسلمين ودعوة لتجديد الجهاز

---

(١) قصيدة (ياحب) التي أثبتناها بالديوان، نظمها سنة ١٣٤٢ هـ — ١٩٢٣م.
وقد وصف صديقه الأستاذ زين العابدين السنوسي طريقته في وضع قصائده فقال:
(إذا رجعنا إلى أدبائنا المعاصرين عرفنا أن المرحوم أبا القاسم الشابي لم يكن يستنزل الشعر ولكنه كان يفيض عليه مهاجمة تمنعه الراحة والنوم، فيصوغ القصيدة بيتاً بيتاً ويتهجى كل واحدة بمفردها في ليله وظلامه الدامس. ولا تفارقه تلك الحال حتى يستفرغ ما جاش بضميره شعرا محكما، ثم ينام مطمئنا كأنما نزع عن ظهره عبئا، حتى إذا استيقظ في الغد متأخرا وجدها على طرف لسانه ونسخها عن ذاكرته مطمئنا، وربما طاش عنه الشطر فلا يرضى أن يعوضه أبدا، وتبقى القصيدة بتراء في جيبه يقرؤها علينا بتراء لا يجسر على ترقيعها أبدا. إلا أن يتذكرها ولو بعد أشهر فيتمها وينسخها في كناشة).

(٢) تأليف الأستاذ زين العابدين السنوسي (انظر الجزء الأول من صفحة ٢٠٣ حتى صفحة ٢٥٤).

الثقافى التقليدى ، ومناصرةٍ لحركة تحرير المرأة[1] ودعوةٍ للتجديد فى الأدب تحتل المكان الأول من نفسه وقد أحدث كتابه « الخيال الشعرى » الضجة الكبرى واستهدف الشاعر بسببه لحملة صحفية عنيفة ثبت لها ثبات الرائد المؤمن بما يقول .

نشرت هذه الآثار فى حياة والده ، فلم ينكر عليه مذهبه ، ووجد الشاعر فى تسامح أبيه ما يعزز جانبه و يثبت خطاه .

وفى هذه الأثناء (سنة ١٩٢٩) نكب بوفاة والده المحبوب ، ولقد رافقه عليلا من بلد « زغوان » إلى « توزر » مسقط رأسه ، وتجرع غصص مرضه ، وطفحت الكأس بموته وهو فى الخمسين من عمره ، فاضطلع بأعباء عائلة كبيرة واختار طريقاً وعراً ، فإنه — ضناً بحرية الأديب والشاعر — لم يلج باب الارتزاق من المناصب الحكومية ورضى بحياة بسيطة على رأس أسرته بتوزر حيث تزوج ، ولعل هذا الذى عناه بعضهم حين قال : « كنا نرى فى نفسه الزكية مثال القناعة فى أفضل ألوانها والطموح على خير وجوهه[2] » .

وفى السنة نفسها أصيب بداء تضخم القلب، وهو فى الثانية والعشرين من عمره، بيد أنه رغم نهى الطبيب لم يقلع عن عمله الفكرى وواصل إنتاجه نثراً وشعرا . وقد نشرت له سنة ١٩٣٣ بمجلة « أبولو » المصرية قصائد عملت على التعريف به فى الأوساط الأدبية بالشرق العربى ، و إلى أبى القاسم أوكل صديقه الدكتور أحمد زكى أبو شادى تصدير ديوانه « الينبوع » .

لم يكن الشاعر المريض يغادر « توزر » إلا فى الصيف و يقصد المصطافات الجبلية كعين دراهم بالشمال التونسى سنة ١٩٣٢، والمشروحة ببلاد الجزائر سنة ١٩٣٣،

---

(١) ناصر الشاعر صديقه المغفور له الطاهر الحداد واضع كتاب « امرأتنا فى الشريعة والمجتمع » الذى أثار ردودا حارة وسخطا عنيفا .

(٢) مجلة « العالم الأدبى » (شعبان سنة ١٣٥٣ — نوفمبر سنة ١٩٣٤)

وشرع أثناء مصيف سنة ١٩٣٤ فى جمع ديوانه « أغانىّ الحياة » بنية طبعه بمصر [(١)] فانتسخه بنفسه بحامة الجريد ، مستعيناً ببعض أدبائها ، لـكن باغتته المنية وحالت دون مانوى . فقد انتابه المرض بغاية الشدة وقصد «تونس» يوم ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٣٤ وبها توفى [(٢)] سحراً يوم ٩ من أكتوبر سنة ١٩٣٤ ، ثم نقل جثمانه إلى بلده « توزر » حيث قبره .

* * *

نحيف الجسم ، مديد القامة ، قوىّ البديهة ، سريع الانفعال ، حادّ الذهن ، تكفكف رقة طبعه من غرب عاطفته وحدة ذهنه يراه أصدقاؤه «بشوشاً ، كريماً ، وديعاً ، متأنقاً ، طروباً لمجالس الأدب يحب الفكاهة الأدبية » [(٣)] ويراه من لم يخالطه حيياً محتشماً ويعرف منه هؤلاء وأولئك صراحة حازمة قوية يبديها لخاصة خلطائه فى غير ما تحرج متى اجتمع بهم ويجاهر بها العموم فى شعره ونثره . وكان محباً لبلاده ، صادق الوطنية [(٤)] يؤمن بأن لقادة الفكر رسالة إنسانية سليمة حاول جهده أن يحققها فى أثناء حياته القصيرة قولاً وعملاً .

تونس فى ١٢ من افريل سنة ١٩٥٤

أسته

---

(١) حيث تطوع الدكتور أبو شادى للاشراف على طبعه .

(٢) بالمستشفى الإيطالى « القديم » بحى « مونفلورى » .

(٣) العالم الأدبى ديسمبر ١٩٣٤ بقلم المغفور له البشير الفورتى عميد الصحفيين التونسيين .

(٤) أبنه فى ذكراه الأربعينية المرحوم الطاهر صفر أحد قادة الحركة الوطنية الممتازين إذذاك وأحد أعضاء الديوان السياسى للحزب الحر الدستورى التونسى بما خلاصته : (تكلم الأستاذ صفر نيابة عن قدماء الصادقية على شاعرنا الفقيد فأكبر روحه الأدبية ونبوغه الشعرى وأشار إلى الناحية الوطنية والإحساس الفياض الذى كان الشاعر يفيض به عن آمال بلاده وآلامها ، وقد ذكر الخطيب أنه اجتمع مع فقيدنا الشابى فى بلدة طبرقة حينما كان الشاعر فى حال شديدة من الألم ، وقد دار إذ ذاك الحديث بين الشاعر والزعيم فى الوطنية عما يؤمله للشعب التونسى من التقدم ورثى الشاعر لحال الشعب الآن ، وقد عبر عن ذلك فى قطعة شعرية وطنية نشرتها جريدة « العمل » بعدد (٢٢) «العالم الأدبى» فى ديسمبر سنة ١٩٣٤ .

مِنْ وراءِ الظلامْ

ضيّع الدّهر مجدَ شعبى ، ولـكن ستردُّ الحيــاةُ يوما وِشاحهْ
إنّ ذا عصرُ ظلمةٍ ، غير أنّى من وراء الظلام شِمْتُ صبَاحهْ

هذان البيتان استبقاهما الشاعر لهذا الديوان من قصيدة نظمها فى ذى القعدة ١٣٤٣.
وإلى القارىء نصها بعنوانها كما وجدناه فى مسودات الشاعر :

تونسُ الجميلهْ

لستُ أبـكى لعسف ليلٍ طويلٍ ، أو لربعٍ غـدا العفاءُ مراحهْ
إنما عَبرتى لخطبٍ ثقيلٍ ، قد عرانا ، ولم نجد من أزاحهْ
كلّما قام فى البـلاد خطيبٌ ، موقظٌ شعبَه يريد صلاحَهْ
أخمدوا صوتَه الإلٰهىَّ بالعســفِ ، أماتُوا صُداحَه ونُواحهْ
ألبسوا روحَه قميصَ اضطهادٍ فاتكٍ شائكٍ يردُّ جِماحَهْ
وتوخَّوْا طرائق العَسف والإر هاق توًّا ، وما توخَّوْا سَماحَهْ
هكذا المخلصون فى كل صوبٍ رشقاتُ الرّدى إليهم مُتـاحهْ
غــير أنّا تناوبتنا الرّزايا واستباحتْ حمانا أىَّ استبـاحهْ

* * *

أنا ياتونس الجميلةُ فى لجِّ الهوى قد سبحت أىَّ سِباحهْ

شِرْعَتي حُبُّكِ العميقُ وإنِّي قد تذوَّقتُ مُرَّه وقراحهْ

لستُ أنصاع لِلّواحي ولو مـتُّ وقامتْ على شبابي المناحهْ

لا أبالي... وإنْ أُرِيقتْ دِمائي فدِماءُ العشاق دوْمًا مُباحهْ

وبطول المَدى تُريكِ الليالي صادقَ الحُبِّ والوَلاَ وسَجاحهْ

إنَّ ذا عصرُ ظلمةٍ غير أنِّي من وراء الظلام شمتُ صَباحهْ

ضَيَّع الدهرُ مَجْدَ شعبي ولكنْ ستردُّ الحياةُ يوماً وِشاحه

مِنْ حديث الشيوخ

ألاَ إنَّ أحلامَ الشَّباب ضئيلةٌ تحطِّمها مثل الغصون المصائب

سألتُ الدَّياجي عن أماني شبيبتي فقالت: «ترامَتْها الرِّياح الجوائبُ»

ولما سألتُ الريح عنها أجابني: «تلقفها سيل القضا، والنوائبُ»

«فصارت عفاءً، واضمحلَّتْ كذرَّةٍ على الشاطئِ المحموم، والموجُ صاخبُ»

خلِّه للموتْ

كلُّ قلبٍ حمل الخسف، وما ملَّ من ذلِّ الحياة الأرْذلِ

كلُّ شعبٍ قد طغت فيه الدمآ دونَ أنْ يثأرَ للحق الجلى

خلِّه للموت يطويهِ!.. فما حظه غير الفناء الأنكل

الحياة

إن هذى الحياةَ قيثارةُ الله ، وأهلُ الحياة مثل اللُّحونِ
نَغَمٌ يستبى المشاعر كالسحر ، وصـــوتٌ يُخِلُّ بالتَّلحينِ
واللَّيـالى مغاورٌ ، تُلْحِدُ اللَّحْـــن وتقضى على الصَّدى المسكينِ

نظرة فى الحياة

إن الحيـــاة صِراعٌ فيها الضعيف يُداس
ما فاز فى ماضـغَيْها إلا شـديد المراس
للخِبِّ فيها شـجونٌ فكن فتى الاحتراسْ
الـكونُ كونُ شقاء الـكون كون التباسْ
الـكون كون اختلاقٍ وضجّة واختـــلاسْ
سيان عندىَ فيه السرور ، والابتئـــــاسْ

***

بين النـــوائب بونٌ للنـــاس فيـــه مزايا
البعض لم يدر إلا البِلى ينادى البلايا
والبعض ماذاق منهـا سوى حقـــير الرزايا

إن الحياة سُباتٌ سينقضى بالمنايا
وما الرُّؤَى فيه إلا آمالنا ، والخطايا
فإن تيقظ كانت بين الجفون بقايا

***

إن السكينة رُوح فى الليل ليست تُضامْ
والروح شعلة نور من فوق كل نظامْ
لا تنطفى برياح الـ ـإرهاق أو بالحسامْ
بل قد يهيج لظاها سيلاً ، ويطغى الضِّرامْ
كل البلايا .. جميعا تفنى ويحيا السلامْ !
والذل سبة عار لا يرتضيه الكرامْ !

***

الفجر يسطَع بعد الـ ـدجى ، ويأتى الضياءُ
ويرقد الليل قسرًا على مِهاد العفاءُ
وللشعوب حياة حينا وحينا فناءُ
واليأس موت ولكن موت يثير الشقاءُ
والجِدُّ للشعب روح توحى إليه الهناءُ
فإن تولَّتْ تصدَّت حياته للبلاءُ

غرفة منزيم

ضعفُ العزيمةِ لَحْدٌ ، فى سكينته تقضى الحياةُ ، بَناهُ اليأسُ والوجَلُ

وفى العزيمة قوّاتٌ ، مُسَخَّرةٌ يخِرُّ دون مداها الشامخُ الجبَلُ

والناس شخصان : ذا يسعى به قدمٌ من القنوطِ ، وذا يسعَى به الأملُ

هذا إلى الموت، والأجداثُ ساخرةٌ، وذا إلى المجد ، والدُّنيا لهُ خولُ

ما كلُّ فعلٍ يُجِلُّ النَّاسُ فاعلَه مجدًا ، فإنَّ الورى فى رأْيِهم خطَلُ

ففى التماجد تمويهٌ ، وشعْوذَةٌ ، وفى الحقيقة مالا يدركُ الدَّجَلُ

ما المجدُ إلاَّ ابتسامات يفيض بها فمُ الزمان ، إذا ما انسدَّتِ الحِيَلُ

وليس بالمَجد ما تشقى الحياة به فيحسدُ اليومُ أمْسًا ، ضمّه الأزَلُ

فما الحروب سوى وحْشيَّةٍ ، نهضتْ فى أنفُسِ الناسِ ، فانقادتْ لها الدولُ

وأيقظت فى قلوب الناسِ عاصفةً غام الوجودُ لها ، وارْبَدَّت السُّبُلُ

فالدّهر منتعلٌ بالنارِ ، ملتحفٌ بالهوْلِ ، والويْلِ ، والأيّامُ تشْتَعِلُ

والأرض داميةٌ ، بالإثم طامية ، ومارِدُ الشرِّ فى أرجائها ثمِلُ

والموْتُ كالمارد الجبّار ، منتصِبٌ فى الأرض، يخطف من قدخانه الأجلُ

وفى المهامه أشلاء ، ممزَّقَة تتلو على القفر شعرًا ، ليس يُنْتَحَلُ

(٢)

أنشودة الرعد

في سكون الليـل لما عانق الكونَ الخشوع
واختفى صوت الأماني خلف آفاق الهجوع

* * *

رتـل الرعد نشيـدا ردَّدته الكائنـات
مثل صوت الحق إن صا ح بأعماق الحيـاة

* * *

يتهادى بضجيـج في خـلايا الأوديهْ
مثل جبارِ بني الجنِّ بأقصى الهاويهْ

* * *

فسألتُ الليل ، والليـ ل كئيبٌ ، ورهيبْ
شاخصا بالليـل والليـ ل جميلٌ ، وغريبْ

* * *

« أيُّ أنشودة الرعـ د أنينٌ وحنـين
رنَّمتها بخشـوع مهجة الكون الحزين ؟

* * *

أم هي القوة تسعَى باعتسـاف واصطخاب
يتراءى في ثنـايا صوتها روح العذاب ؟ »

* * *

غير أن الليـل قد ظـ لَّ رَكُودًا ، جامدًا
صامتا مثل غدير الـ قفر ، من دون صدى !

في الظلام

رفرفت في دُجية الليل الحزين زُمرةُ الأحلامْ
فوق سرب من غمامات الشجون ملؤها الآلام

* * *

شخَصت ، لما رأت ، عينُ النجوم بعثةَ العُشّاق
ورمتْها من سماها بِرجُوم تسكب الأحراق

* * *

كنت إذ ذاك على ثوب السكون أنثر الأحزانْ
والهوى يسكب أصداء المنون في فؤاد فانْ

* * *

ساكتاً مثل جميع الكائناتْ راكدَ الألحان
هائمٌ قلبي بأعماق الحياة تائهٌ ، حيران

* * *

إنَّ لِلْحب على الناس يدًا تقصف الأعمار
وله فجرًا على طول المدى ساطعَ الأنوار

* * *

ثورةُ الشر ، وأحلامُ السلام ، وجمالُ النور
وابتسامُ الفجر في حزن الظلام ، في العيون الحور

مأتم الحب

ليت شعرى !

أىُّ طـيرِ

يسمع الأحزان تبكى بين أعماق القلوب

ثم لا يهتف فى الفجر ، برنّات النحيـب

بخشوع ، واكتئاب ؟

***

لسـت أدرى

أىُّ أمـر

أخرس العصفور عنِّى ، أتُرى مات الشعورْ

فى جميع الكون ، حتى فى حُشاشاتِ الطيورْ ؟

أمْ بكى خلف السحاب ؟

***

فى الديـاجى

كم أنـاجى

مَسْمعَ القبرِ ، بغصّات نحيبى ، وشجونى

ثم أصغى ، علّنى أسمع ترديد أنينى



فأرى صوتى فريد !

***

فأنـــــــادى :

« يا فـــــــؤادى »

« مات من تهوى ! وهذا اللحد قد ضمّ الحبيب »

« فابكِ يا قلب بما فيك من الحزن المذيب »

« ابكِ يا قلب ، وحيد ! »

***

ذلّ قلـــــــبى ،

مات حـــــــبّى !

فاذرفى يا مقلةَ الليل ، الدرارِى عـــــبرات

حول حبِّى ، فهو قد ودّع آفاق الحيـــــــاة

بعد أن ذاق اللهيب

***

واندبيـــــــه ،

واغسليـــــــه ،

بدموع الفجر ، من أكواب زهر الزّنبَق

وادفنيـــــه بجلال ، فى ضفاف الشفق

ليرى روح الحبيب

***

الكآبة المجهولة

أنا كئيب ،

أنا غـــــريب ،

كآبتى خالفت نظائرها

غريبةٌ فى عوالم الحزَن

كآبتى فكرةٌ مُغَرِّدةٌ

مجهولةٌ من مسامع الزمن

لكننى قد سمعت رنَّتها

بمهجتى ، فى شبابى الثمل

سمعتُها ، فانصرفتُ مكتئبا

أشدو بحُزنى ، كطائر الجبل

سمعتهـــــا أنّةً يرجِّعُها

صوتُ الليالى ، ومهجةُ الأزل

سمعتها صرخةً مضعْضَعةً

كجدولٍ فى مضايق السبل

سمعتها رنةً ، يعانقها

شوقٌ إلى عالمٍ يضعضعها

ضعيفةً مثل أنّةٍ صعدتْ

من مهجةٍ هدّها توجُّعها

كآبةُ الناس شعلةٌ ، ومتى

مرّت ليالٍ خبتْ مع الأمد

أما اكتئابي فلوعةٌ سكنتْ

روحِي ، وتبقى بها إلى الأبد

***

أنا كئيب ، أنا غريب ،

وليس في عالم الكآبة منْ

يحملُ مِعشارَ بعضِ ما أجِدُ

كآبتي مُرّةٌ ، وإن صرختْ

روحي فلا يسمعنَّها الجسد

كآبتي ذات قسوةٍ صَهرت

مشاعري في جهنَّم الألَم

لم يسمع الدَّهرُ مثل قسوتها

في يقظة قط ، لا ، ولا حلُمِ

كآبتي شُعلةٌ مؤجَّجة ،

تحت رماد السكون تستعِر

سيعلم السكونُ ما حقيقتها

ويطلع الفجر يوم تنفجر

***

كآبةُ الناس شعلةٌ ، ومتى

مرّت ليال خبت مع الأمد

أما اكتئابي فلوعةٌ ، سكنت

روحي ، وتبقى بها إلى الأبد

أيها الليل

أيها الليل ! يا أبا البؤس والأهْوا   لِ ، ! يا هيكل الحياة الرهيب !

فيك تجثو عرائس الأمل العذ   ب ، تُصلّى بصوتها المحبوب

فيُثير النشيدُ ذكرى حياة   حجبتها غيوم دهر كئيب

وترف الشجون من حول قلبى   بسكون ، وهيبة ، وقطوب

أنت ياليل ذرّةٌ ، صعدت للـكون ، من موطىء الجحيم الغضوب

أيها الليل ! أنت نغم شجىٌّ   فى شفاه الدهور ، بين النحيب

إن أنشودة السكون ، التى ترتج ، فى صدرك الركود ، الرحيب

تُسمع النفسَ ، فى هدوء الأمانى   رنةَ الحق ، والجمال الخَلُوب

فتصوغ القلوبُ ، منها أغاريدًا ، تهـز الحياة هز الخطوب

تتلوّى الحياة ، من ألم البؤ ، فتبكى ، بلوعة ونحيب

وعلى مِسمعيك ، تنهلّ نوحا   وعويلا مُرًّا ، شجونُ القلوب

فأرى برقعا شفيفا ، من الأو   جاع ، يُلقى عليكَ شجوَ الكئيب

وأرى فى السكون أجنحة الجـ   بار ، مخضلةً بدمع القلوب

فلك الله ! من فؤاد رحيم   ولك الله ! من فؤاد كئيب

يهجع الكون ، فى طمأنينة العصفور ، طفلا بصدركَ الغربيب

وبأحضانك الرحيمة يستيقظ ، فى نضرة الضحوك ، الطروب



شادياً ، كالطيور بالأمل العـذ ب ، جميلاً ، كبهجة الشؤبوب

يا ظلام الحياة ! ياروعةَ الحزن ! ويامعزفَ التعيس الغريب

إن فى قلبكَ الـكئيبِ ، لمرتادًا لأحلام كل قلب كئيب

وبقيثارة السكينة ، فى كفَّيْـــكَ ، تنهلّ رنّةُ المـكروب

فيك تنمو زنابق الحلُم العـذ ب ، وتذوِى لدى لهيب الخطوب

خلف أعماقك الـكئيبة تنسا ب ظِلال الدهور ، ذاتَ قطوب

وبفوْديك ، فى ضفائرك الســـودِ ، تدبُّ الأيامُ أىَّ دَبِيبِ

***

صاحِ ! إن الحياة أنشودة الحز ن ، فرتِّلْ على الحياة نحيبى

إن كأس الحياة مترعة بالدمــ ع ، فاسكب على الصباح حبيبى

إن وادى الظلام يطفح بالهو ل ، فما أبعد ابتسام القلوب !

لايغُرّنّك ابتسام بنى الأر ض فخلف الشعاع لذعُ اللهيب

أنت تدرى أن الحياة قطو ب وخطوب ، فما حياة القطوب ؟

إن فى غيبـــة الليالى ، تباعا لخَطيب يمرّ إثر خطـوب

***

سَدَّدَتْ فى سكينة الـكون ، للأعما ق ، نفسى لحظا بعيدَ الرُّسوب

نظرةٌ مزقت شــغاف الليا لى فرأت مهجة الظلام الهيوب

ورأت فى صميمها ، لوعة الحز ن ، وأصغت إلى صُراخ القلوب

لا تحاول أن تنـكر الشجو ، إنى قد خبرت الحيـاة خُبر لبيب

فتبرمتُ بالسكينة والضجـ ـة، بل قد كرهتُ فيها نصيبي...
كن كما شاءت السماء كئيبًا أيُّ شيء يسر نفس الأريب؟
أنفوسٌ تموت، شاخصةً بالهو ل، في ظلمة القنوط العصيب؟
أم قلوبٌ محطماتٌ على ساحل لُـ ـجِّ الأسى، بموج الخطوب؟
إنما الناس في الحياة طيورٌ قد رماها القضا بواد رهيب
يعصف الهولُ في جوانبـه السو دِ فيقضي على صَدَى العندليب

***

قد سألتُ الحياة عن نغمة الفـ ـجر، وعن وَجْمة المساء القَطوب
فسمعتُ الحياة، في هيكل الأحزا ن، تشدو بلحنها المحبوب:
ما سكوتُ السماء إلا وجومٌ ما نشيد الصباح غير نحيب.
ليس في الدهر طائرٌ يتغنى في ضفاف الحياة غيرَ كئيب
خضَّب الاكتئاب أجنحة الأيا م، بالدمع، والدم الأسكوب
وعجيبٌ أن يفرح الناس في كـ ـهف الليالي، بحزنها المشبوب!

***

كنت أرنو إلى الحياة بلحظٍ باسم، والرجاء دون لغوب
ذاك عهد حسبته بسمة الـ ـفجر، ولكنه شعاع الغروب
ذاك عهد، كأنّه رنَّة الأفرا ح، تنساب من فم العندليب
خففت — ريثما أصختُ لها بالقلـ ـب، حينا — وبُدِّلَتْ بنحيب

إن خمر الحياة وردية اللون ، ولكنها سِمــام القلوب

***

جرفتْ من قراره القلب أحلا مى ، إلى اللحد ، جائراتُ الخطوب

فتلاشت على تخوم الليـالى وتهاوت إلى الجحيم الغضوب

وثوى فى دُجُنّة النفس ، ومضٌ لم يزل بين جَيْئَةٍ ، وذُهوب

ذِكرياتٌ تعيش فى ظُلمة النفــس ، ضِئالا ، كرائعات المشيب

***

يالقلب تجرع اللوعةَ المر ة من جدول الزمان الرهيب !

ومضت فى صميمه شُعْلَةُ الحز ن ، فعشّته من شعاع اللهيب..

شكوى اليتيم

على ساحل البحر، أنّى يضجُّ ضراخُ الصباحِ ونوحُ المسا

تنهّدتُ، من مهجةٍ أترعت بدمع الشقاء وشوكِ الأسى

فضاع التنهّدَ في الضجّةِ

بما في ثناياه من لوْعة

فسرتُ وناديتُ: «يا أمُّ! هيّا

إليّ! فقد سئمتني الحياةْ»

وجئت إلى الغاب، أسكبُ أوجاعَ قلبي نحيباً، كلفْح اللّهيبْ

نحيباً تَدافع في مهجتي، وسالَ يرنُّ بندب القلوب

فلم يفْهم الغابُ أشجانَهُ

وظلَّ يُرَدِّد ألحـــانَهُ

فسرتُ وناديْتُ: يا أمُّ! هيَّا

إلىَّ! فقد عذبتني الحياهْ»

وقمتُ على النّهر، أهْرِق دمعًا تفجّر من فيضِ حُزْني الأليمْ

يسيرُ بصمتٍ على وجْنتيَّ ويلمع مثل دموع الجحيم

فما خفَّفَ النهرُ من عـدْوهِ

ولا سكت النهرُ عن شدْوهِ

فسرتُ، وناديتُ: «يا أمّ! هيّا
إليّ! فقد أضجرتني الحياهْ»

***

ولمّا ندبتُ ولم ينفعِ
وناديْتُ أمّي فلم تسمعِ
رجعتُ بحزني إلى وحدتي
وردّدْتُ نوحي على مسمعي
وعانقتُ في وحدتي لوعتي
وقلت لنفسي: «ألا فاسكتي!»

الزَّنْبَقَةُ الذَّاوِيَة

أَزَنبقَةَ السفْح ؟ مالى أراكِ تعانقكِ اللوعةُ القاسيهْ ؟

أفى قلبكِ الغضِّ صوتُ اللهيب ، يرتلُ أنشودة الهاويهْ ؟

أأسمعكِ الليلُ ندبَ القلوب أأرشفكِ الفجرُ كأسَ الأسى ؟

أصبَّ عليكِ شعاعُ الغروب نجيعَ الحياة ، ودمعَ المسا ؟

أأوقفكِ الدهرُ حيثُ يُفجِّرُ نوحُ الحياة صُدوعَ الصدورْ ؟

وَينبثقُ الليلُ طيفاً ، كئيباً رهيباً ، ويخفقُ حزنُ الدهورْ ؟

***

إذا أضجرتكِ أغانى الظلامِ فقد عذبتنى أغانى الوجوم

وإن هجرتكِ بناتُ الغيـوم ، فقد عانقتنى بنات الجحيم

وإن سكب الدهر فى مِسمعيْكِ نحيبَ الدجى ، وأنينَ الأملْ

فقد أجّج الدهر فى مهجتى شُواظاً من الحزَن المشتعل

وإن أرشفتْكِ شفاهُ الحياة رُضابَ الأسى ، ورحيقَ الألمْ

فإنِّى تجرّعتُ من كفِّها كؤوسا ، مؤجّجَةً ، تضطرم

***

أصيحى ! فما بين أعشار قلبى يرِفُّ صـدى نوحكِ الخافت

معيداً على مهجتى بخفيف جناحيه صوتَ الأسى المائت

وقد أترع الليلُ بالحب كأسى وشعشها بلهيب الحياهْ

وجرَّ عنى من ثُمالاتِه مرارةَ حزنٍ، تذيب الصفاهْ

إلىَّ ! فقد وحّدت بيننا قساوةُ هذا الزمان الظلومْ

فقد فجّرتْ فىَّ هذى الكلومَ كما فجّرت فيكِ تلك الكلوم

***

وإن جرفتنى أكفُّ المنون إلى اللحْد، سحقتكِ الخطوبْ

فحزنى وحزنكِ لا يبرحانِ أليفينِ رغم الزمان العصيب

وتحت رواق الظلام الكئيب إذا شمل الكون روحُ السحَرْ

سيُسمَع صوتٌ، كلحنٍ شجيٍّ تطايرَ من خفقات الوتر

يردِّدُه حزنُنا فى سكونٍ على قبرنا، الصامتِ المطمئنْ

فنرقُد تحت التراب الأصمِّ جميعًا على نغمات الحزَنْ

شعري

شعرى نُفَاثة صدرى　　إن جاش فيه شعورى
لولاه ما انجاب عنى　　غيمُ الحياة الخطير
ولا وجدتَ اكتئابى　　ولا وجدتَ سرورى
به ترانى حزينـــاً　　أبكى بدمعٍ غزير
به ترانى طَـروباً　　أجرّ ذيلَ حُبـورى

***

لا أنظم الشعرَ أرجو　　به رضاء الأمـــير
بمدحـــة أو رثاء　　تُهدَى لرب السرير
حسبى إذا قلتُ شعرا　　أن يرتضيه ضميرى

***

ما الشعر إلا فضاء　　يَرِفُّ فيــه مقالى
فيما يسرّ بـلادى　　وما يسرُّ المعالى
وما يثير شـــعورى　　من خافقات خيالى

***

لا أقرض الشعر أبغى　　به اقتنـاص نوال
الشعر إن لم يكن فى　　جماله ذا جـــلال

فإنمـــــا هو طيف | يسْعَى بوادى الظِّلال
يقضى الحياة طريدًا | فى ذِلة ، واعـتزال

***

يا شـعر ! أنت مِلا كى | وطارِفِى ، وتِلادى
أنا إليـــك مُراد | وأنت نعم مرادى
قف ، لا تدَعْنِى وحيدًا | ولا أدعك تنادى
فهل وجدت حُساما | يُناط دون نجاد

***

كم حطّم الدهرُ ذاهِيَّةٍ | كثيرَ الرَّماد
ألقاه تحت نعـالٍ | من ذلّة وحــداد
رفقًا بأهل بلادِى ! | يا منجنون العوادى !

يا شعر

يا شعرُ أنتَ فمُ الشعور ، وصرخةُ الروح الكئيبْ
يا شعر أنت صدى نحيب القلب ، والصبِّ الغريب

يا شعر أنت مدامعٌ عِلقتْ بأهداب الحياة
يا شعر أنتَ دمٌ ، تفجّر من كلوم الكائنات

يا شعر ! قلبي — مثلما تدرى — شقىٌّ ، مظلمُ
فيه الجراحُ ، النجلُ ، يقطر من مغاورها الدمُ

جمدت على شفتيه أرزاء الحيـــاة العابسه
فهو التعيسُ ، يُذيبه نوح القـــلوب البائسه

أبدًا ينوح بحرقةٍ ، بين الأماني الهاويهْ
كالبلبل الغرِّيد ما بين الزهـــور الذاويهْ

كمْ قد نصحتُ له بأن يسلو ، وكمْ عزّيتُـــه
فأبى ، وما أصغى إلى قولي ، فما أجْديته

كم قلت : « صبرًا يافؤادُ ! ألا تَـكُفَّ عن النحيبْ ؟ »
« فإذا تجلّدت الحيـــاةُ تبدّدتْ شُعَلُ اللهيب »

« يا قلب ! لا تجزع أمامَ تصلُّبِ الدهر الهصورْ »

« فإذا صرختَ توجُّعا هزئت بصرختكَ الدهـورْ »

« يا قلب ! لا تسخط على الأيام ، فالزهر البديعْ »

« يصغى لضجات العواصف قبل أنغام الربيع »

« يا قلب ! لا تقنعْ بشوك اليأس من بين الزهورْ »

« فوراءَ أوجاع الحيـاة عـــذوبةُ الأمل الجسور »

« يا قلب ! لا تسكبْ دموعكَ بالفضـاء فتندمِ »

« فعلى ابتسامات الفضـــلم قساوةُ المتهكِّمِ »

لكنَّ قلبي — وهو مُخْضلُ الجوانب بالدموعْ —

جاشتْ به الأحزانُ ، إذ طفحت بها تلك الصدوع

يبكى على الحــلم البعيد بلوعةٍ ، لا تنجلى

غرِدًا ، كصَدَّاح الهواتف فى الفلا ، ويقول لى :

« طهِّرْ كلومكَ بالدموع ، وخلِّها ، وسبيلَهَا »

« إن المدافع لا تضيع حقـيرها وجليلها »

« فمِنَ المدامع ما تدفّعَ جارفاً حسَكَ الحياهْ »

« يرمى لهاوية الوجود بكل ما يبنى الطغاهْ »

« ومن المدامع ما تألّق فى الغياهب كالنجوم »

« ومن المدامع ما أراح النفس من عبء الهموم »

فارحَم تعاسته ، ونُحْ معه على أحلامِـهِ

فلقد قضى الحـلمُ البديعُ على لظى آلامِهِ

يا شعر ! يا وحْىَ الوجودِ الحىِّ ، يا لُغَةَ الملائكْ

غرِّدْ ، فأيّامِى أنا تبْـكِى على إيقاع نائكْ

ردِّدْ على سمع الدجى أنّاتِ قلبى الواهيهْ

واسكب بأجفان الزهـور دموعَ قلبى الداميهْ

فلعلّ قلب الليل أرحم بالقـلوب الباكيهْ

ولعلّ جفن الزهر أحفظ للدموع الجاريهْ

كم حرّكت كفُّ الأسى أوتارَ ذيّاك الحنين

فتهاملت أحزانُ قلبى فى أغاريد الأنانين

فَلَـكَمْ أرَقتُ مدامعى ، حتى تقرّحتِ الجفون

ثمّ التفتُّ ، فلم أجد قلبًا يقاسمنى الشجون

فعسى يكون الليل أرحم ، فهو مثلى يندب

وعسى يصـون الزهر دمعى ، فهو مثلى يسكب

قد قنّعتْ كفُّ المساء الموتَ بالصّمت الرهيب ،
فغدا كأعماق الكهوف ، بلا ضجيج أو وجيب

يأتى بأجنحة السكون ، كأنه الليل البهيم
لكن طيفَ الموت قاسٍ ، والدجى طيفٌ رحيم

ما للمنية لا ترقُّ على الحياة النائحه ؟
سِيّان أفئدةٌ تئن ، أو القلوب الصادحه

يا شعرُ ! هل خُلِق المَنون بلا شعورٍ كالجماد ؟
لا رِعشة تعرو يديه إذا تملّقه الفؤاد ؟

أرأيتَ أزهارَ الربيع ، وقد ذوت أوراقها
فهوت إلى صدر التراب ، وقد قضت أشواقُها ؟

أرأيت شحرورَ الفلا ، مترنما بين الغصون
جمد النشيدُ بصدره ، لما رأى طيفَ المنون ؟

فقضى ، وقد غاضت أغاريدُ الحياة الطاهرة
وهوى من الأغصان ، ما بين الزهور الباسرة ؟

أرأيتَ أمَّ الطفل تبكى ذلك الطفلَ الوحيد
لمّا تناوله ، بعنفٍ ، ساعدُ الموت الشديد ؟

أسمعتُ نَوْحَ العاشق الولهانِ ، ما بين القبور
يبكى حبيبته ؟ فيالِمصَارع الموت الجسور !

طفحتْ بأعماق الوجود سكينةُ الصبر الجليد
لما رأى عدل الحياة يضمه اللحدُ الكنود

فدفقتْ لحناً ، يردده على سمع الدهور
صوتُ الحياة بضجة . . ، تسعى على شفة البحور

يا شعرُ ! أنتَ نشيدُ أمواج الخضم الساحرهْ
الناصعات ، الباسمات ، الراقصات ، الطاهرهْ

السافرات ، الصادحات مع الحياة إلى الأبد ؟
كعرائس الأمل الضحوك ، يَمِسْنَ ما طال الأَمَد

ها إن زهارَ الربيع تبسمتْ أكمامُها
ترنو إلى الشَّفَق البعيدِ ، تغرُّها أحلامُها

فى صدرها أملٌ ، يحدِّق نحو هاتيك النجوم
لكنه أملٌ ، ستلحده جبابرةُ الوجوم

فلسوف تغمض جفنها ، عن كل أضواء الحياة
حيث الظلام مُخَيِّمٌ فى جو ذياك السبات

ها إنها همست بآذان الحيـاة غريدَها

قتلتْ عصافيرُ الصـباح ، صُداحَها ونشيدَها

يا شعرُ ! أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمهْ

يا ليتنى مثل الزهور ، بلا حيـاة واجمه

إن الحياة كئيبةٌ ، مغمورة بدموعها ! !

والشمسُ أضجرها الأسى ، فى صحوها وهجوعها

فتجرعت كأسًا دِهاقا ، من مُشَعشَعة الشَّفَق

فتمايلتْ ، سَكرى إلى كهف الحياة .. ولم تُفِق

يا شعرُ ! أنتَ نحيبها لمّا هَـوَت لسُباتها

يا شعرُ أنتَ صُداحها ، فى موتها وحياتها

انظر إلى شفق السماء ، يفيض عن تلك الجبـال

بشعاعه الخـلاب ، يغمرها ببسمات الجمال

فيثير فى النفس الكئيبة عاصفًا لا يركد

ويؤجِّج القلبَ المعذَّبَ شـعلةً لا تخمد

يا شعرُ ! أنت جمال أضواء الغروب الساحرة

يا همسَ أمواج المســاء ، الباسماتِ الحائرة

يا نايَ أحـــلامي الحبيبةِ ! يا رفيقَ صبابتي
لولاكَ متُّ بلوعتي ، وبشـــوقي ، وكآبتي

فيكَ انطوت نفسي ، وفيكَ نفختُ كلَّ مشاعري
فاصدح على قمم الحيـــاة بلوعتي ، يا طائري

زئير العاصفة

تسائلني : « مالى سكتُّ ، ولم أهِبْ بقومى ، وديجورُ المصائب مظلم »
« وسيل الرزايا جارفٌ ، متدفّعٌ غضوبٌ ، ووجه الدهر أربدُ ، أقتم ؟ »

***

سكتُّ ، وقد كانت قناتىَ غضَّةً تُصيخ إلى همس النسيم ، وتحلُم
وقلتُ ، وقد أصغتْ إلى الريح مرَّةً فجاش بها إعصاره المتهزِّم
وقلتُ وقد جاش القريض بخاطرى كما جاش صخَّابُ الأواذىِّ ، أسحم :

***

« أرى المجد معصوبَ الجبين مجدَّلاً على حَسَكِ الآلام ، يغمره الدم »
« وقد كان وضّاح الأسارير ، باسماً يهبُّ إلى الجُلَّى ، ولا يتبرَّم »

***

« فيا أيها الظلم المصعِّر خدَّه رويدك ! إن الدهر يبنى ويهدم »
« سيثأر للعزِّ المحطَّم تاجه رجالٌ إذا جاش الرَّدى فهمُ همُ »
« رجالٌ يروْن الذُّلَّ عارًا وسُبَّة ولا يرْهبون الموتَ ، والموتُ مقدم »
« وهل تعتلى إلاّ نفوسٌ أبيَّةٌ تصدِّع أغلالَ الهوانِ ، وتحطِم »

إلى الطغاة

يقولون : « صوت المستذَلّين خافتٌ — وسمع طغاة الأرض (أطرشُ) أضخمُ »
وفى صيْحة الشعب المسخَّر زعزعٌ — تخِرُّ لهـــا شمُّ العروش ، وتُهدَمُ
ولعلةُ الحق الغضوب لهـا صدى — ودمدمة الحرب الضروس لها فمُ
إذا التفَّ حول الحق قوم فإنَّه — يصرِّمُ أحداثَ الزمان ويُبْرِمُ

***

لك الويل ياصَرْحَ المظالم من غدٍ — إذا نهض المستضعفون ، وصمَّموا !
إذا حطَّم المستعبدون قيودَهم — وصبُّوا السخط أيَّان تعلم . . !
أغرَّك أن الشعب مُغضٍ على قذى — وأنَّ الفضاء الرَّحْبَ وسنانُ ، مظلم ؟
ألا إنَّ أحلامَ البـلاد دفينةٌ — تجمجم فى أعماقها ما تجمجم
ولـكنْ سيأتى بعد لأيٍ نشورها — وينبثق اليـــوم الذى يترنّم
هو الحق يُغفى . . . ثمَّ ينهض ساخطا — فيهدمُ ماشاد الظِّـلام[1] ، ويحطمُ
غدا الرَّوْعِ ، إن هبَّ الضعيفُ ببأسه ، — ستعلم من مِنَّا سيجرفه الدَّمُ
إلى حيث تجنى كفُّه بذرَ أمْسِه — ومُزْدَرِعُ الأوجاعِ لا بد ينـدم
ستجرع أوصابَ الحياة ، وتنتشى — فتصغى إلى الحق الذى يتكلم
إذا ماسقاك الدهر من كأسه التى — قُرارتها صابٌ مَريرٌ ، وعلقم
إذا صعق الجبَّـــارُ تحت قيوده — يصيخ لأوجاع الحياة ، ويفهم ! !

---

(١) الظلام — بكسر الظاء : الظلم

السآمة

سئمتُ الحيـاة ، وما فى الحيـاة   وما إن تجاوزْتُ فجرَ الشبابْ

سئمتُ الليـالى ، وأوجاعَها   وما شعْشعتْ من رحيق بصاب

فحطّمتُ كأسى ، وألقيتُهـا   بوادى الأسى ، وجحيم العذاب

فأنّتْ ، وقد غمرتْها الدموع   وقرّتْ ، وقد فاض منها الحباب

وألقى عليهـا الأسى ثوبَه   وأقبرَ الصمتُ والإكتئاب

***

فأين الأمانى وألحـانُها ؟   وأين الكؤوس ؟ وأين الشراب

لقد سحقتْها أكفُّ الظلام   وقد رشفتْها شفاهُ السراب

***

فما العيش فى حومةٍ بأسُها   شديدٌ ، وصدّاحها لا يُجاب

كئيبٌ ، وحيـدٌ بآلامِه   وأحلامِه ، شدْوُهُ الانتحاب

ذواتٌ فى الربيـع أزاهيرها   فِنمْنَ ، وقد مصّهُنّ الترابْ

لوَيْنَ النُّحورَ على ذِلّةٍ   ومُتْنَ ، وأحلامهنّ العِـذاب

فحالَ الجمالُ ، وغاض العبيرُ   وأذوى الرّدى سحرَهُنّ العُجاب

الحُبّ

الحبُّ شعلة نورٍ ساحرٍ ، هبطتْ — من السماء ، فكانتْ ساطعَ الفلَق

ومزّقت عن جفون الدّهر أغشيَةً — وعن وجوه الليالى بُرقعَ الغسق

الحب روحُ إلٰهىّ ، مجنَّحةٌ — أيامُه بيـضاء الفجر والشفق

يطوف فى هذه الدنيا ، فيجعلها — نجْمًا ، جميلاً ، ضحوكا ، جدَّ مؤتلق

لولاه ما سُمِعتْ فى الـكون أغنيةٌ — ولا تآلفَ فى الدنيا بَنُو أُفُقِ

الحبُّ جدولُ خمرٍ ، من تذوّقه — خاض الجحيمَ ، ولم يُشْفِق من الحرق

الحب غاية آمال الحياة ، فمـا — خوْفى إذا ضمَّنى قبرى ؟ وما فرَقى ؟

أيها الحُبّ

أيها الحب ! أنت سر بلائى — وهمومى ، وروعتى ، وعنائى

ونحولى ، وأدمعى ، وعَذابى — وسقامى ، ولوعتى ، وشقائى

***

أيها الحب ! أنت سرّ وجودى — وحياتى ، وعزّتى ، وإبائى

وشعاعى ما بين ديجور دهرى — وأليـفى ، وقُرتى ، ورجائى

يا سلافَ الفؤاد ! ياسِمَ نفسى   فى حياتى ياشدتى ! يا رخائى !
ألهيبٌ يثور فى روضة النفس ، فيطغى ، أم أنت نور السماء ؟

***

أيها الحب قد جرعتُ بك الحز   ن كؤوسًا ، وما اقتنصتُ ابتغائى
فبحق الجمال ، يا أيها الحـ   ب حنانيْك بى ! وهوِّن بلائى

***

ليت شعرى ! يا أيها الحب ، قل لى :   مِن ظلام خُلقتَ ، أم من ضياء ؟

الدّموع

ينقضى العيش بين شوق ويأس   والمنى بين لوعة وتأسٍّ
هذه سُنَّةُ الحياة ، ونفسى   لا تودُّ الرحيق فى كأس رِجس
مُلِئ الدهر بالخداع ، فكم قد   ضلَّلَ الناسَ من إمام وقَسٍّ
كلما أسأل الحياة عن الحق   تكفُّ الحياةُ عن كل همس
لم أجد فى الحياة لحنًا بديعًا   يستبينى سوى سكينة نفسى
فسئمت الحياةَ ، إلاَّ غرارًا   تتلاشى به أناشيدُ يأسى

***

ناولتنى الحياة كأسًا دِهاقا   بالأمانى ، فما تناولتُ كأسى

وسقتنى من التعاسة أكواباً تجرعتها ، فياشد تعسى !

إن فى روضة الحياة لأشواكًا بهـــا مُزِّقت زنابق نفسى

***

ضاع أمسى ! وأين منىَّ أمسى ؟ وقضى الدهرُ أن أعيش بيأسى

وقضى الحبُّ فى سكون مريعٍ ساعةَ الموت بين سخط و بؤس

لم تُخلِّفْ لىَ الحياة من الأمس سوى لوعةٍ ، تهبُّ وترسى

تتهادى ما بين غصات قلبى بسكونٍ و بين أوجاع نفسى

كخيال من عالم الموت ، ينساب بصمتٍ ما بين رمْسٍ ورمْس

تلك أوجاعُ مهجةٍ ، عذبتْها فى جحيم الحيـاة أطيافُ نحس

أغنية الأحزان

غنِّنى أنشودة الفجر الضَّحوكْ

أيهـا الصـــداحْ !

فلقد جرَّعنى صوتُ الظلام

ألمًا علَّمنى كره الحيـاةْ

إن قلبى مَلَّ أصداء النواح

غننى ، يا صـــاحْ !

***

حطمت كفُّ الأسى قيثارتى

في يد الأحــــلام

فقضت صمتا ، أناشيدُ الغـرامْ

بين أزهار الخـريف الذاويهْ

وتلاشت فى سكون الاكتئاب

كصـدى الغــرِّيد

***

كُفَّ عن تلك الأغانى الباسمهْ

أيها العصــفورْ !

فحياتى ألِفتْ لحنَ الأسى

من زمانٍ قد تقضَّى ، وعسى

أن يثير الشَّدوُ ، فى صمت الفؤاد

أنّةَ الأوتار . . !

***

لا تغنينى أغاريد الصبـاحْ

بلبـــلَ الأفراح !

ففؤادى وهـو مغمور الجراح

بتباريح الحيـاة الباكيهْ

ليس تستهويهِ ألحان السرور

وأغـانى النـور

***

إنّ مَنْ أصغى إلى صوت المَنون

وصدى الأجـــداث

ليس تستهويه ألحانُ الطيورْ

بين أزهار الربيع الســـاحرهْ

وابتسامات الحيـاة ، السافرهْ

عن جـلال الله !

***

غنني ياصاح ! أنّاتَ الجحيمْ

واســـقني الآلام

أترِع الـكأسَ بأوجاع الهموم

واسقني ، إنّي كرهتُ الابتسام

غنني ندبَ الأماني الخائبهْ

والليـالي الســـود

***

غنني صـوت الظلام المـكتئبْ

إنـني أهــــواهْ

هاكَ كأس القلب فاملأها نواح

واسكب الحُزنَ بها حتّى مصباحْ !

إنها من طينـة الحزن المَرير

صاغهـا الخَـــلاق

***

بئستْ الأفراحُ ، أفراح الحياة

إنهــا أحــلام

تخلب اللب بألحانٍ عِذابْ

وأغاريـــــدَ ، كأملاك السما

ثم لاتلبث أن تذوِى كما

تذبل الأزهـــارْ

***

خبِّرينى ، ماالذى خلف الغيوم ... ؟

ربةَ الأحــــلامْ

أفتى الهــولِ ، وجبَّارُ الهموم ؟

أم عروسُ الأملِ العذبِ الشرود

تتهادى بين لألاء الصبـــاح ؟

كَملاك الغـــــورْ

***

أنا فى درب الحياة الغامضة

تائـهٌ ، حيران

بينما أبصر فى وجه الحيـــاهْ

ظلمةَ الأحزان فى ظل الألمْ

إذ أرى في جفنها نوراً ، بديع

باسما ، فتّـــــان

***

ها أنا أسمع في قلب الحيـاة

صيـــحةَ الآلام

مُرّةً تنساب ، من قلب حطيم

ملأ الحزنُ أقاصيه دمـــوع

ها أنا أسمع أصوات السرور

كَضَّـــتِ الأيام

المجـد

يودُّ الفتى لو خاض عاصفة الردى وصدَّ الخميسَ المَجْرَ ، والأسَدَ الوَرْدَا

ليدرك أمجاد الحروب ، ولو درى حقيقَتَهَا مارام من بيْنها مجْدَا

فما المجد فى أن تُسكِرَ الأرض بالدِّما وتركبَ فى هيجائها فرَسًا نهْدَا

ولـكنه فى أن تصـدَّ بهمَّةٍ عن العالمِ المرزوءِ ، فيْضَ الأسى صدًّا

سِرْ معَ الدهْر

سر مع الدهر ، لا تصـدنَّك الأهوال ، أو تُفْزِعَنَّكَ الأحداثُ

سر مع الدهر ، كيفما شــاءت الدنيا ، ولا يخدعنَّك النفَّاث

فالذى يرهبُ الحياةَ شقىٌّ ، سخرتْ من مصيره الأجداث

الذكرى

كنّا كزوجيْ طائر ، فى دوْحة الحب الأمينْ

نتلو أناشيد المنى بين الخمائل والغصون

متغردين مع البلابل فى السهول وفى الحزون

ملأ الهوى كأس الحياة لنا ، وشعشعها الفتون

حتّى إذا كدنا نرشّف خمرها ، غضب المنون

فتخطّف الكأسَ الخلوبَ ، وحطّم الجام الثمين

وأراق خمر الحب فى وادى الكآبة والأنين

وأهاب بالحبّ الوديع ، فودّع العشّ الأمين

وشدا بلحن الموتِ فى الأُفُق الحزين المستكين

ثم اختفى خلف الغيوم ، كأنه الطيف الحزين . . .

* * *

يا أيها القلب الشجىّ ! إلام تخرسك الشجون

رحماكَ قد عذّبتنى بالصمت والدمع الهتون

مات الحبيب ، وكل ماقد كنتَ ترجو أن يكون !

فاصبرْ على سخط الزمان ، وما تصرِّفه الشئون

فلسوْفَ ينقذك المنونُ ، ويفرح الروح السجين . . .

***

وِردُ الحياة مُرنَّقٌ ، والموت مورده مَعين

ولربَّما شاق الردى الداجى ، وأعماقُ المنون

قلبًا ، تروِّعه الحياة ، ولا تهادنه السِّنون

ومشاعرًا حسْرَى ، يسيرُ بها القنوط إلى الجنون

مُناجاة عصفور

يا أيها الشادى المغرِّد ها هنا ... ثَمِلاً بغبطة قلبه المسرور

متنقِّلاً بين الخمائل ، تاليا ... وحْيَ الربيع الساحر المسحور

غرِّدْ ، ففى تلك السهول زنابقٌ ... ترنو إليك بناظرٍ منظور

غرِّدْ ، ففى قلبى إليك مودَّةٌ ... لكن مودَّة طائرٍ مأسور

هجرته أسراب الحمائم ، وانْبَرَتْ ... لعذابه جِنِّيةُ الديجور . . .

غرِّدْ ، ولا ترهب يمينى ، إننى ... مثل الطيور بمهجتى وضميرى

لكنَّ لقد هاض التراب ملامعى ... فلبثتُ مثل البلبل المكسور

أشدُو برنّاتِ النياحة والأسى ... مشبوبةً بعواطفى وشعورى

غرِّدْ ، ولا تحفل بقلبى ، إنه ... كالمعزف ، المتحطِّم ، المهجور

* * *

رتِّلْ على سمع الربيع نشيدَهُ ... واصدحْ بفيْضِ فؤادك المسجور

وانشد أناشيد الجمال ، فإنها ... روحُ الوجود ، وسلوة المقهور

أنا طائر ، متغرِّدٌ ، مترنِّمٌ ... لكن بصوت كآبتى وزفيرى

يهتاجنى صوتُ الطيور ، لأنَّه ... متدفِّقٌ بحرارة وطَهور

ما فى وجود الناس من شىء به ... يَرْضَى فؤادى أو يُسَرُّ ضميرى

فإذا استمعتُ حديثَهم أَلْفَيتُهُ ... غثا ، يفيض برِكّةٍ وفتور

وإذا حضرتُ جموعَهم أَلْفَيْتُنِى ... ما بينهم كالبلبل المأسور

متوحِّدًا بعواطفي ، ومشاعري ، وخواطري ، وكآبتي ، وسروري
يَتَذَأبُ بَنِي حَرَجُ الحياة كأنني مِنهم بوهدة جندل وصخور
فإذا سكتُّ تضجَّروا ، وإذا نطقت تذمَّروا من فكرتي وشعوري
آهِ من الناس الذين بلَوْتهم فقلوْتهم في وحشتي وحبوري !
ما منهم إلا خبيث غادر متربص بالناس شرَّ مصير
ويودُّ لو ملك الوجودَ بأسره ورمى الورى في جاحم مسجور
ليُبِلَّ غلّتَه التي لاترتوي ويكضّ نهمة قلبه المغفور
وإذا دخلتُ إلى البلاد فإنَّ أفكاري ترفرف في سفوح الطُّور
حيث الطبيعة حلوةٌ فتَّانةٌ تختال بين تبرُّج وسفور
ماذا أودُّ من المدينة ، وهي غارقةٌ بموار الدَّم المهدور ؟
ماذا أودُّ من المدينة ، وهي لا ترثي لصوت تفجُّع الموتور ؟
ماذا أودُّ من المدينة ، وهي لا تَعنو لغير الظالم الشرِّير ؟
ماذا أود من المدينة ، وهي مُرْتادٌ لكل دعارة وفجور ؟

* * *

يا أيها الشادي المغرِّد ها هنا ثَمِلا بغبطة قلبه المسرور !
قبِّلْ أزاهير الربيع ، وغنِّها رَنَمَ الصباح الضاحك المحبور
واشرب من النَّبع ، الجميل ، الملتوى مابين دَوْحِ صنوبر وغدير
واترك دموع الفجر في أوراقها حتى تَرشُفها عروسُ النور
فلربما كانت أنيننا صاعدا في الليل من متوجع ، مقهور
ذرفته أجْفانُ الصباح مدامعا ألاَّقة ، في دوحة وزهور ...

الطُّفُولَة

لله ما أحلى الطفولة ! إنها حلم الحياة
عهدٌ كمعسول الرؤى مابين أجنحة السبات . . .
ترنو إلى الدنيا ، وما فيها بعين باسمهْ
وتسير فى عدوات واديها بنفس حالمهْ . . .

* * *

إن الطفولة تهتزُّ فى قلب الربيعْ
ريَّانةٌ من ريّق الأنداء فى الفجر الوديع
غنَّت لها الدنيا أغانى حبِّها وحبورها
فتأوَّدتْ نَشوى بأحلام الحياة ونورها

* * *

إن الطفولة حقبةٌ شعريَّةٌ بشعورها
ودموعها ، وسرورها ، وطموحها ، وغرورها
لم تمش فى دنيا الكآبةِ ، والتعاسة ، والعذاب
فترى على أضوائها ما فى الحقيقة من كِذاب

قالت الأيامْ

يا أيها السادر في غيِّه !

يا واقفاً فوق حطام الجباهْ !

مهلاً ! ففي أنّات من دستَهم

صوتٌ رهيبٌ سوف يدوي صداه ...

***

لا تأمنَنَّ الدهر ، إنّما غفا

في كهفه الداجي ، وطالت رُؤاه

فإن قضى اليومُ وما قبله

ففي الغد الحيِّ صباحُ الحياه

***

يا أيها الجبار ! لا تزدري

فالحق جبّارٌ ، طويل الأناهْ

يغفي ، وفي أجفانه يقْظةٌ

ترنو إلى الفجر الذي لا تراهْ . .

المساء الحزين

أظلّ الوجودَ المساء الحزين ، وفى كفه مِعزف لا يُبين
وفى ثغره بسمات الشجون ، وفى طرفه حسرات السنين
وفى صــدره لوعة لا تقَرّ ، وفى قلبــه صعقات المنون
وقبّــله قُبلاً صامتات ، كما يلثمُ الموتُ وَرْدَ الغصون
وأفضى إليه بوحى النجوم ، وسر الظـلام ، ولحن السكون
وأوْحى إليه مزاميرَه ، فغنّتْ بهــا فى الظلام الحزُون
وعلّمه كيف تأسَى النفــوس ، ويقضى بؤوسًا لديها الحنين
وأسمعه صرخات القــلوب ، وأمهله من سُلاف الشئون
فأغفى على صـــدره المطمئن ، وفى رُوحــه حلم مستكين
قوىٌّ ، غلوبٌ ، كسحر الجفون ، شجىٌّ ، لعوبٌ ، كزهر حزين
ضحوكٌ ، وقد بلّلته الدموع ، طروبٌ ، وقد ظلّلتْه الشجون
تعانقه سكرات الهوى ، وتحضـــنه شهقات الأنين
يشابهُ رُوحَ الشـباب الجميل إذا ما تألّق بين الجفون
أعاد لنفسى خيالاً جميلاً . . لقد حجبته صروف السنين
فطافت بها هجسات الأسى ، وعادت لهــا خطرات الجنون

***

أظلَّ الفضاءَ جناحُ الغروب ، فألقى عليه جمالا كئيب
وألبسه حلّةً من جلالٍ ، شجىٍّ ، قوىٍّ جميلٍ ، غلوبْ
فنامت على العشب تلك الزهورُ لمرأى المساء الحزين الرهيب
وآبت طيور الفضاء الجميل لأوكارها ، فرِحاتِ القلوب
وقد أضرمت بأغاريدها خيالَ السماء الفسيح الرحيب
وولّى رعاةُ السّوائم إلى الحىّ يزجونها فى صُمات الغروب
فتَثْغو ، حنيناً لُحملانها ، وتقطفُ زهْرَ المروج الخصيب
وهم ينشدون أهازيجهم بصوت بهيجٍ ، فَرُوحٍ ، طروب
ويَسْتَمْنِحُونَ مزاميرهم ، فتمنحهم كلَّ لحنٍ عجيب
تطير به نسماتُ الغروب إلى الشفَق المستطير الخلوب
وتوحى لهم نظراتُ الصبايا أناشيد عهد الشباب الرطيب
وأقبل كلٌّ إلى أهله ، سوى أمَلِى ، المستطار ، الغريب
فقد تاه فى مَعْسَبات الحياة ، وسُدَّتْ عليه مناحِى الدروب
وظلَّ شريداً ، وحيداً ، بعيداً ، يغالب عُنْف الحياة العصيب
وقد كان من قبلُ ذا غبطةٍ ، يرفرف حول فؤادى الخصيب

***

ولمَّا أظلَّ المساءُ السماءَ ، وأسكر بالحزن روحَ الوجودْ
وقفت ، وساءلته : « هل يؤوب لقلبى ربيعُ الحياة الشَّرُود ؟ »
« فتخفقُ فيه أغانى الورود ويخضرُّ فردوسُ نفسى الحصيد ؟ »

«وتختال فيه عروس الصباح، وتمرح نَشْوى بذاك النشيد؟»

«ويرجع لى من عراص الجحيم سلامُ الفؤاد، الجميلُ، العهيد؟»

«فقد كبَّلَتْه بنات الظلام، وألقيْنَه فى ظلام اللحود؟»

فأصغى إلى لَهَفِى المستمرِّ، وخاطبنى من مكانٍ بعيد:

«تعود ادِّكاراتُ ذاك الهوى، ولكنَّ سحر الهوى لا يعود»

فجاشتْ بنفسِى مآسى الحياة، وسخطُ القنوط القوىُّ المَرِيد

ولمَّا طغت عصَفَاتُ القنوط فمادتْ بكلِّ مكين، عتيد

أهبت بقلبى، الهلوع، الجزوع، وقد كان من قبلُ جلْدًا، شديد:

«تجلَّدْ، ولا تستكنْ للَّيالى، فما فاز إلاَّ الصبورُ، الجليد»

«ولا تأسَ من حادثات الدهور، فخلف الدياجير فجرٌ جديد»

«ولولا غيومُ الشتاء الغِضابُ لما نضَّدَ الروضُ تلك الورود»

«ولولا ظلام الحياة العبوسُ لما نسجَ الصبحُ تلك البرود»

بقايا الخريف

كرهتُ القصورَ، وقطانَها ، وما حولَها من صراعٍ عنيفْ

وكيدِ الضعيف لسعى القويِّ ، وعصف القويِّ بجهد الضعيف

وجاشت بنفسى دموع الحياة ، وعجَّتْ بقلبى رياح الصروف

لقلب الفقير الحطيم ، الكسير ودمع الأيامى السفيح الذريف

ونَوحِ اليتامى على أمهات ، توارَيْنَ خلف ظلام الحتوف

فسرْتُ إلى حيث تأوى أغانى الربيع ، وتذوى أمانى الخريف

وحيث الفضا شاعرٌ ، حالمٌ ، يناجى السهول بوحيٍ ، طريف

وقد دثَّرته غيومُ المساء بظلٍّ ، حزينٍ ، ضريحٍ ، شفيف

وبين الغصون التى جرَّدتها ليالى الخريف ، القويِّ العَسُوف

وقَفْتُ ، وحولِى غديرٌ ، مواتٌ ، تمادتْ به عَفَوَاتُ الكهوف

قضتْ فى حفافيْه تلك الزُّهور ، فكفَّنها بالصقيع الخريف

ســوى زهرةٍ شقيتْ بالحياةِ ، ومَلْبَثِها بالمُقام المخيف

يروِّعها فيه قصفُ الرعود ، ويحزنها فيـــه ندْبُ الزفيف

وَينْتابُها فى الصباح السديمُ ، وفى الليلِ حلمٌ ، مريعٌ مخيف

وتُرْهِبُها غاديات الغمام ، وتؤْلمها كلُّ ريحٍ عصـــوف

فترْنُو لمـا حولها من زهور ، وماثمَّ إلا السحيقُ ، الجفيف

فتبكي بكاء الغريب، الوحيدِ، بِشجْوٍ كظيمٍ، ونَوْحٍ ضعيف

تباكى به لُبّها المستطارَ، وترثى به ماطوته الحتُوف

وتشكو أساها بياضَ النهارِ، وتندُبُ حظَّ الحياة السخيف

ولكنْ لقد فقدتْ في الوجود رفيقاً مُصيخاً، وقلباً رءوف

فما ثَمَّ إلا الصخورُ القواسى، وإلاّ الصدى المستطارُ الهتوف

فجادتْ بروحٍ شقيٍّ، شجيٍّ، لقد عذّبته الليالى صنوف

وماتتْ، وقد غادرتْها بقاعٍ من الأرض ضَنْكٍ، حياةُ الصروف

فبانتْ حيالَ الغدير الأصمِّ، وقد أخرس الموتُ ذاكَ الحفيف

وقد خضّبتْها غيومُ المساء، كغانيةٍ ضرّجتها السيوف

فسلْها: «تُرى كيف غاض الأريجُ؟ وكيف ذَوَى سحرُ ذاك الرفيف؟»

«وكيف خبَتْ بسماتُ الحياة بأجفانها، وعراها الكسوف؟»

«وكيف لوَتْ جيدَها الحادثاتُ وألْوَتْ بذاكَ القوام اللطيف؟»

ذكرت بمضجعها المطمئنِّ ومرقدها في الشّفير الجفيف

مصارعَ أمالىَ الغابرات وخيْبتَها في الصراع العنيف

فقلّبْتُ طرفي بمهْوَى الزهور وصعّدته في الفضاء الأسيف

وقلت: «هوَ الكونُ مَهدُ الجمال ولكنْ لكل جمالٍ خريف!..»

وأطرقتُ، أصغى لهمس الأسى وقد غَشِيَ النفسَ همٌّ كثيف

وغاضتْ ثُمالةُ نور النهار وأرْخى ظلامُ الوجود السجوف

أغنية الشاعر

يا ربة الشعر والأحلام ، غنيني ... فقد سئمت وجوم الكون ، من حين

إن الليالي اللواتي ضمخت كبدي ... بالسحر أضحت مع الأيام ترميني

ناخت بنفسي مآسيها ، وما وجدت ... قلبا عطوفا يسليها ، فعزيني

وهد من خلدي نوح ، ترجعه ... بلوى الحياة ، وأحزان المساكين

على الحياة أنا أبكي لشقوتها ... فمن إذا مت يبكيها ويبكيني ؟

يا ربة الشعر ، غنيني ، فقد ضجرت ... نفسي من الناس أبناء الشياطين

تبرمت ببني الدنيا ، وأعوزها ... في معزف الدهر غريد الأرانين

وراحة الليل ملأى من مدامعه ... وغادة الحب ثكلى ، لا تغنيني

فهل إذا لذت بالظلماء ، منتحبا ... أسلو ؟ وما ينفع محزون لمحزون ؟

يا ربة الشعر ! إني بائس ، تعس ... عدمت ما أرتجي في العالم الدون

وفي يديك مزامير يخالجها ... وحي السماء ؛ فهاتيها ، وغنيني

ورتلي حول بيت الحزن أغنية ... تجلو عن النفس أحوان الأحايين

فإن قلبي قبر ، مظلم ، قبرت ... فيه الأماني ، فما عادت تناغيني

لولاك في هذه الدنيا لما لمست ... أوتار روحي أصوات الأفانين

ولا تغنيت مأخوذا . . ، ولا عذبت ... لي الحياة لدى غض الرياحين

ولا أصخت إلى الأصداء ، راقصة ... بين الكهوف ، على عزف الشياطين

ولا ازدهى النفس في أشجانها شفق ... يلون الغيم لهوا أي تلوين

ولا استخف حياتي ، وهي هائمة ... فجر الهوى في جفون الخرد العين

فى فجاج الآلام

يا لابتسامة قلبٍ مطلولةٍ بدموعِهْ
غاضت ، فلم تبق إلاّ الدموع بين صدوعِهْ
فظلّ يهتف من شجوِ هِ ، وفرْط ولُوعِه
« ويح الحياة ! أما تنقضى لديها الرزايا ؟ ! »
« أما يُكفكفُ هذا الزمانُ صوْبَ البلايا ؟!»
« يادهرُ ! رفقا ! فإن القلوب أمست شظايا »

***

يا قلب نهنهْ دموعَ الأسى ، ولوْعة رُوعِكْ
إن الدهور البواكى غنيَّةٌ عن دموعِكْ
حسْبُ الحياة أساها فاطوِ الأسى فى صدوعِكْ
واحلم بفجر الليالى . . ، ففجرُها فى هجوعِكْ
و إن غفوْتَ فإنّ الحياة ليست تروعُكْ
وسوف يمضى شتاء الأسى ، ويأتى ربيعُكْ

***

بين القبور فتاةٌ جارَ الزمانُ عليها
فافتكّ منها بعنفٍ كفُّ الردى أبويْها

تقول والليـل ساجٍ والقبرُ مصغٍ إليْها :

« ياليتني متُّ من قبـل أن تسوءَ حياتي »

« ويَنضبَ الدمع من لوْعتي ، ومن حسراتي ! »

« مَنْ لي بحُفرة قـبر تضمُّني وشكاتي ! »

* * *

في الحيِّ صبٌّ يعاني في الصـدر داءً دفيناَ

وفي الفؤاد جوًى كا مناً وحسًّا مكيناَ

حتى دهتْه الليـالي وجرَّعتْـهُ مَنُـونَهْ

فشيَّعَ الميْتَ جمعٌ من حيِّـه ، يندبونَهْ

حتى إذا ما أرادوا رصْفَ الصفائح دونَهْ

ناحت عليه فتـاة : « ويلي ، لمن تتركونه ! »

* * *

كان الصبيُّ يصيد الفراش بين الزهـــــور

فداسَ زَهـرا نديًّا ألقى به في الغـديرْ

فأخرجوه ، ولـكن بعد القضاء الأخير ..

نحرّت الأم حول الصبيِّ ، تصرخ : « ويلي ! »

فقلت ، والقلب دامٍ والناس يبكون حولي :

« ما أسخف العيش تقضي عليه زلّةُ نَعْلِ ! »

* * *

شيْخٌ ، شاء دهر الأسى ، وحيدٌ شتيتُ
بين الخرائب يُمسي على الطَّوى ، ويبيتُ
في ظلمة الليل فاضت على الوجود حياتُهْ
وطرفُه يرمُق النّجمَ مِلْؤُهُ عبراتُهْ
وما حواليْه إلاّ الخرابُ يُشجِي صُماتُهْ
فما بكاهُ فتاه ولا بكتْه فتاتُهْ

* * *

يازهرةً سامها العابرون خسفًا وهُونَا !
لو كنتِ شوكًا عضوضًا ما داسكِ العابرونا
لأنّهم يجهلون الوحيَ الذي تُضمرينا
هم يسخرون بهمس الزهور ، وهو بديعٌ !
ويُنصتون لصوت الأشواك ، وهو مُريعُ !
فلا تبالي بقوم الحق فيهم صريعُ

* * *

ربّاه ! كم من فتاة ، تشكو الحياة وتبكى ،
ومُعْدِمٍ ، بوّأتْهُ الدُّهورُ مقعدَ ضنْكِ
ويائسٍ مات في لُبِّه المرام الوحيدُ
وتائهٍ ، ضاع بين القفار ، وهو فريدُ

حتى طوته من العاصفات ريحٌ شَرُودُ
ربَّاه ! رُحماكَ إن الزَّمان فضٌّ شديدُ

***

ياطائر الشعر ! رَوِّحْ على الحياة الكئيبَهْ
وامسَحْ بريشكَ دمْعَ القلوب ، فهى غريبَهْ
وعِزِّها عن أساها فقد دهتها المصيبه
وأنتَ روحٌ جميل ، بين الهضاب الجديبه
فانفخْ بها من لهيب السماء رُوحًا خصيبه
وابعث بسحركَ فى قلبها ضرامَ الشبيبهْ

جَدْوَلُ الحبّ

بين الأمس واليوم

بالأمس قد كانت حياتى كالسماء الباسمهْ

واليومَ ، قد أمست كأعماق الكهوف الواجمهْ

قد كان لى ما بين أحلامى الجميلةِ جدولُ

يجرى به ماء المحبَّة طاهراً ، يتسلسلُ

تسعى به الأمواجُ باسمةً كأحلام الصِّبا

بيضاء ، ناصعةً ضحوكاً مثل أزهار الربى

ميَّاسةً كعرائس الفردوس بين حقُولِه

تتلو أناشيد المُنى فى مَدِّه وقفولِهِ

***

هُوَ جَدْوَلُ الحب الذى قد كان فى قلبى الخضِلْ

بمراشف الأحلام منطلقاً ، يسير على مَهَلْ

يتلو على سمعى أغاريدَ الحياة الطاهرهْ

ويُثير فى قلبى أناشيدَ الخلود الساحرهْ

تقف العذارى الخالداتُ . . . عرائس الشعرِ البديع

فى ضفتَيْه ، مُردِّداتٍ نغمةَ الحلم الوديعْ

يلمسن من قيثارة الأحلام أوتار الغزل

فتفيض ألحانُ الصبابة عذبةً ، مثل الأمل

وتطير بالبَسَمات والأنغام أجنحةُ الصدى

فى ذلك الأفُق الجميل ، وذلك النَّسَم الرُّخا

وهناك حيث تعُانق البسماتُ أنغامَ الغزل

يتمايل الحلمُ الجميل ... كبسمة القلب الثَّمِل

***

هُوَ جدولٌ ، قد فجّرتْ يَنبـوعَه فى مهجتى

أجفانُ فاتنةٍ أرتنيها الحياة ، لشـقوتى

جفان فاتنة ، تراءتْ لى على فجر الشـباب

كعروسة من غانيات الشعر ، فى شفق الحساب

ثم اختفت خلف السماء ، وراء هاتيك الغيومْ

حيث العذارى الخالداتُ ، يمِسْنَ ما بين النجوم

ثم اختفت أوّاه ! طائرةً بأجنحة المنون

نحو السماء ، وها أنا فى الأرض تمثال الشجون

قد كان ذلك كله بالأمس ! بالأمس البعيد ...

والأمس قد جرفته مقهوراً يدُ الموت العتيد

قد كان ذلك تحت ظل الأمس ، والماضى الجميل

قد كان ذلك فى شعاع البدر من قبل الأفول

واليوم إذ زالت ظلال الأمس عن زَهرى البديع
وتَجَلْبَبَ الزهرُ الجميلُ بظُلمة الليـل المريع
ذبلت مراشفُه ، فأصبح ذاوياً ، نضو الـكلوم
وهوى لأنَّ الليل أسمعه أناشيد الوجوم . .

***

بالأمس قد كانت حياتى كالسماء الباسمهْ
واليوم قد أمست كأعماق الـكهوف الواجمهْ

***

إذْ أصبح النبع الجميـل يسـير فى وادى الألمْ
متعثِّراً بين الصخور ، يغور فى تلك الظُّلَمْ
جَفَّتْ به أمواجُ ذيَّاك الغرام الآفل
فتدفّقتْ فيه الدموعُ بصَوبها المتهاطل
قد حجّبته غيوم أحزان الوجود القاتمهْ
قد أخرسته مرارةُ القلب التعيس الظالمه
جَمدتْ على شفتيه أنغام الصبابة والهوى
وقضتْ أغانى الحب ، فى أعماقه ، لما هوى
وعدت به الأمواجُ ، جامدةَ الملامح ، قاتمه
قد أسكتَتْها لوعة الرُّوح الحزين الواجمهْ
غاضت أمانيها ، وغار بهـا الجمال الساحر

فأصابها — لَهفًا عليه — الإكتئابُ الكافرُ

فى ضفتَيْه عرائسُ الأشعار تنصب مأتما

يُهرقن فيه الدمعَ ، حتى يلطم الدمعُ الدما

فيسيل ذاك المدمعُ الدّامى لقلب الجدول

حيث المرارةُ ، والأسى ، بين الزهور الذُّبَّل

وينحن حتى يُفعم الأفاقَ صوتُ الإنتحاب

فتسير أصداء النياحة نحو أطباق الضَّبَاب

وهناك ما بين الضباب الأقتم الساجى الكئيبْ

تهتزُّ آلامى ، وتختلج الكآبةُ ، بالنحيب

يا رفيقي

يا رفيقي ! وأين أنتَ ؟ فقد أعمت جفوني عواصف الأيام

ورمتني بمهمهٍ ، قاتمٍ ، قفرٍ ، تُغشّيه داجيات الغمام . .

خذْ بكفّي ، وغنّني ، يارفيقي ، فسبيل الحياة وعرٌ أمامي

كلما سرتُ زلّ بي فيه مهوى ، تتضاغى به وحوشُ الحِمام

شعّبته الدهور ، وانطمسَ النُّور ، وقامتْ به بنات الظلام

راقصاتٍ ، يُجلِبْنَ في حلَكِ الليل ، ويلعبن بالقلوب الدوامي

غنّني ، فالغناءُ يدْرأُ عنّا الساحرَ الجن... ، ساكنَ الآجام..

* * *

قد تفكرتُ في الوجود ، فأعياني ، وأدبرتُ آيسًا لظلامي

أنشُدُ الرّاحةَ البعيدةَ ، لكن خاب ظنّي وأخطأت أحلامي

فمعي في جوانحي أبَدَ الدهر فؤادٌ إلى الحقيقة ظامي

ما تراخى الزّمانُ إلاّ وألقى في طواياه قَبْضَةً من ضرام

تتلظّى ، يدَ الحياة ، وزادتْ مُعضلاتُ الدُّهور والأعوام

أظمأتْ مهجتي الحياةُ ، فهل يوماً تبُلُّ الحياة بعض أوامي ؟

يارفيقي ! ما أحسِبُ المنبعَ المنشودَ إلا وراءَ ليلِ الرِّجام

غَنِّنِى ، يا أُخَىَّ ، فالـكَوْنُ تَيْهَآءٌ ، بها قد تمزَّقت أقدامى
غَنِّنِى ، علَّنِى أُنِيمُ همومى ، إنَّنى قد مللت من تهيامى

***

يا رفيقى ! أما تفكَّرْتَ فى الناس ، وما يحملون من آلام ؟
فلقدْ حزَّ فى فؤادىَ ما يَلْقَوْن من صولة الأسى الطلاَّم
فإذا سرَّنى من الفجر نورٌ ساءنى ما يُسِرُّ قلبُ الظَّلام
كم بقلب الظلام من أنَّةٍ تهفو بغُصات صِبْيَةٍ أيتام
ونشيجٍ مُضَرَّمٍ من فتاةٍ ، أبهظتْها قوارعُ الأيام
ونُوَاحٍ يفيضُ من قلب أمٍّ فُجعتْ فى وحيدها البسام ،
فَطَمَ الموتُ طفلها ، وهو نور فى دجاها ، من قبل عهد الفطام
وأنينٍ من معدم ، ذى سقام ، عضَّهُ الدهر بالخطوب الجِسام
ما إخال النُّجوم إلاَّ دموعاً ، ذرَفَتْها محاجر الأعوام
فلقد ضرَّم الشجونَ بنوها ، فإذا بالشُّجون سيلٌ طام
وإذا بالحياة فى ملعب الدهر تدوس الرؤوس بالأقدام
وإذا الـكون فلذةٌ من جحيمٍ ، بكل قلبٍ دام
وهُمُ فى جحيمهمْ يتناغَوْن بما فى الوجود من أنغام !
عجباً للنفوس ، وهى بواكٍ ، عجباً للقلوب ، وهى دوام
كيف تشدو وفى محاجرها الدمع ، وتلهو ما بينَ سُودِ الموامى ؟!

***

يا رفيقي ! لقد ضلتْ طريقي ، وتخطّتْ مَحَجّتي أقدامي

خذ بكفي ، فإنني تائهٌ ، أعمى ، كثير الضلال والأوهام

وانفخ النّايَ ، فالحياة ظلامٌ ، مالمرتاده من الهول حام

ملء آفاقه فحيحُ الأفاعي ، وعجيجُ الآثام والآلام

فانفخ النّايَ ، إنه هِبَةُ الأملاك للمستعيذ بالإلهام

واغذُذِ السّيْرَ ، فالنهارُ بعيدٌ ، وسبيلُ الحياة جمٌّ الظلام ...

إلى المَوْتْ

صبيٌّ الحياة ، الشقيٌّ العنيدْ ألا قد ضللتَ الضلال البعيدْ !

أتُنشدُ صوتَ الحياة الرخيمَ ، وأنت سجينٌ بهذا الوجودْ ؟ !

وتطلب وَرْدَ الصباح المخضَّب مِن كفّ حقلٍ ، جديبٍ ، حصيدْ ؟!

إلى الموت ! إنْ شئتَ هَوْنَ الحياة ، فخلف ظلام الردى ماتريد ..

***

إلى الموت ! يا ابن الحياة التعيسَ ، ففي الموت صوتُ الحياة الرخيم

إلى الموت ؟ إن عذَّبتكَ الدهور ، ففي الموت قلبُ الدهور الرحيم

إلى الموت ! فالموت رُوحٌ جميل ، يرفرف من فوق تلك الغيوم

فَرِوحاً بفجر الخلود البهيج ، وماحوله من بنات النجوم ...

***

إلى الموت ! فالموت جامُ رويٌّ لمن أظمأته سَمُومُ الفلاة

ولستَ براوٍ — إذا ما ظمئتَ — من المنبع العذب قبل الممات

فما الدمع إلا شراب الدهور ، وما الحزن إلا غذاء الحياة

إلى الموت ! فالموت مَهْدٌ وثير ، تنام بأحضانه الكائنات

***

إلى الموت ! إن حاصرتكَ الخطوبُ ، وسدّتْ عليكَ سبيلَ السلامْ
فنى عالم الموت تنضو الحياةُ رداءَ الأسى ، وقناعَ الظـلام
وتبدو ، كما خُلِقَتْ غضّةً يفيض على وجهها الابتسـام
تعيدُ عليها ظِلَال الخـلود ، وتهفو عليها قـلوبُ الأنام

***

إلى الموت ! لا تخش أعمـاقه ففيها ضياء السماء الوديع
وفيها تميس عـذارى السماء ، عوارىَ ، ينشـدن لحنًا بديع ...
وفى راحهنّ غصونُ النخيـل يحرّكنها فى فضاء يضوع ...
تضىء به بسمات القـلوب ، وتخبو به حسرات الدموع

***

هو الموت طيفُ الخلودِ الجميلُ ، ونصف الحياة الذى لا ينوحْ
هنالكَ ... خلف الفضاء البعيد ، يعيش المنونُ القوىُّ الصَّبُوحْ
يضمُّ القلوب إلى صـدره ، ليأسوَ مامضّها من جروح
ويبعثَ فيهـا ربيعَ الحيـاة ، ويبهجَهـا بالصباح الفَرَوح

إلى عازف أعمى

أدركتَ فجر الحياة أعمى وكنتَ لا تعرف الظلامْ

فأطبقت حولك الدّياجى وغام من فوقك الغمام

وعشتَ فى وحشة ، تقاسى خواطرًا ، كلها ضرام

وغربةٍ ، ما بها رفيق وظلمةٍ ، ما لها ختام

تشقُّ تيهِ الوجودِ فردًا قد عضَّك الفقر والسقام

وطاردت نفسك المآسى وفرّ من قلبك السلام

***

هوِّن على قلبك المعنَّى إن كنت لا تبصر النجوم

ولا ترى الغابَ ، وهو يلغو وفوقه تخطر الغيوم

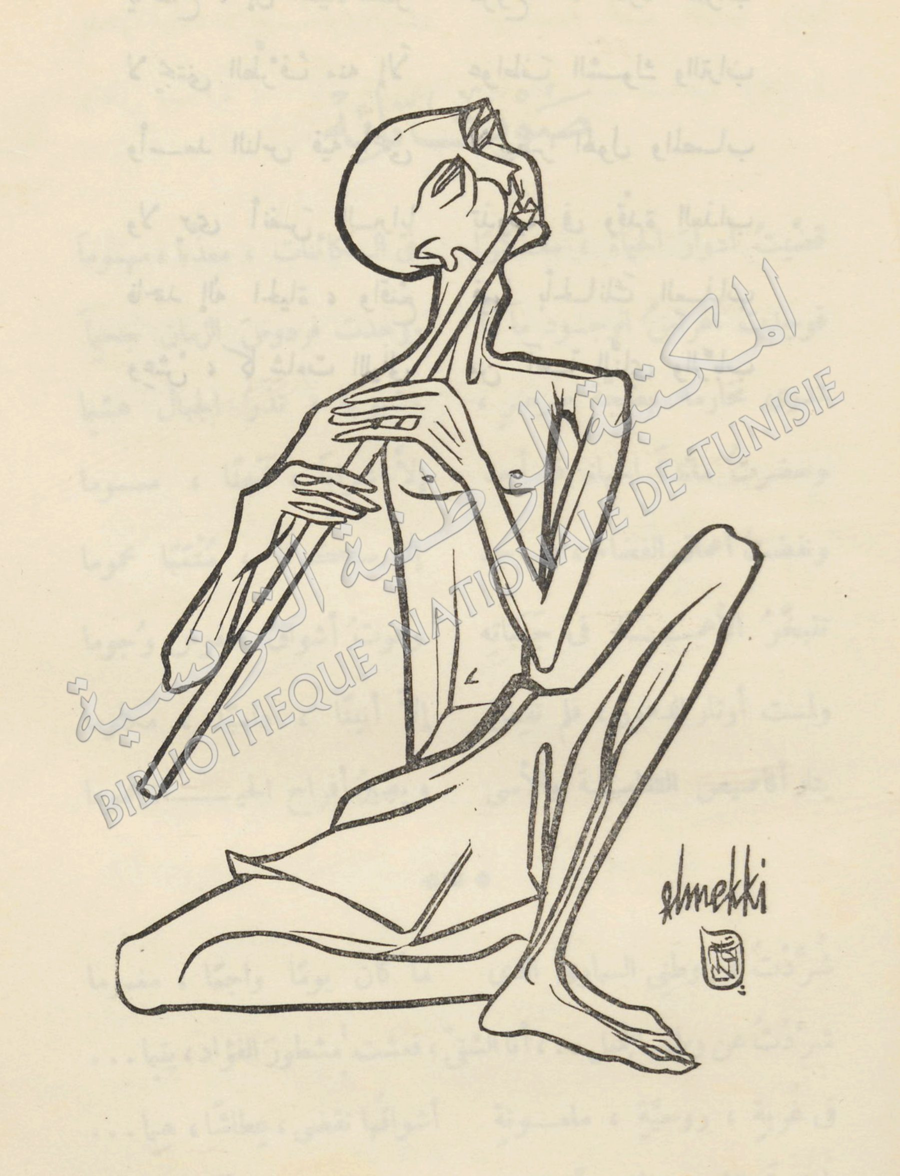
ولا ترى الجدولَ المغنِّى وحوله يرقص الغيم

فكلُّنا بائس ، جدير برأفة الخالق العظيم

وكلُّنا فى الحياة أعمى يسوقه زعزعٌ عقيم

وحوله تزعق المنايا كأنها جِنَّة الجحيم :

***


elmekki

يا صاح ! إن الحياة قفرٌ مروِّعٌ ، ماؤه سراب

لا يجتنى الطَّرْفُ منه إلاّ عواطفَ الشوكِ والتراب

وأسعد الناس فيه أعمى لا يبصر الهول والمصاب

ولا يرى أنفسَ البرايا تذوب فى وقْدة العذاب

فاحمد إله الحياة ، واقنعْ فيها بألحانكَ العِذاب

وعِشْ ، كما شاءت الليالى من آهة النَّاى والرَّباب

صَوْتٌ تائِهٌ

***

قضَّيتُ أدوارَ الحياة ، مفكِّرًا في الكائنات ، معذَّبا ، مهموماَ

فوجدتُ أعراسَ الوجود مآتماً ووجدت فردوسَ الزمان جحيماَ

تدوى مخارمه بضجَّة صرصرٍ ، مشبوبة ، تَذَرُ الجبال هشيما

وحضرتُ مائدةَ الحياة فلم أجد إلاَّ شراباً ، آجنًا ، مسموما

ونفضتُ أعماقَ الفضاء ، فلم أجد إلا سكوناً ، مُتْعَبًا محموما

تتبخَّرُ الأعمـــار في جنباته وتموتُ أشواقُ النفوس وُجوما

ولمست أوتار الدهور ، فلم تفِضْ إلاَّ أنينًا ، داميًا ، مكلوما

يتلو أقاصيص التعاسـة والأسى ويصيرُ أفراحَ الحيــاة هموما

***

شُرِّدْتُ عن وطَنِي السماويِّ الذى ما كان يومًا واجمًا ، مغموما

شرِّدْتُ عن وطني الجميل . . ، أنا الشقىّ ، فعشت مشطورَ الفؤاد ، يتيما . . .

في غُربةٍ ، روحيَّةٍ ، ملعــونةٍ أشواقُها تقضى ، عِطاشًا ، هِيما . . .

يا غربةَ الرُّوحِ المفكـرِ ! إنه في الناس يحيا ، سائمًا ، مسئوما

شُرِّدتُ للدنيا . . ، وكلٌّ تائهٌ فيها يُروِّعُ راحــلاً ومقيما

يدعو الحياة ، فلا يُجيبُ سوى الرَّدى ليدُسَّــه تحت التراب رميما

وتظل سائرةً ، كأَنَّ فقيدها ما كان يومًا صاحبًا وحميما !

***

يا أيُّها السارى ! لقد طال السُّرى حتَّـامَ ترقب فى الظلام نجوما . . ؟

أتخالُ فى الوادى البعيدِ المُرْتَجَى ؟ هيهات ! لن تلقى هناكَ مَرُوما

سِرْ ما استطعت ، فسوف تُلْفِي — مثلما

خلفْتَ — غَشُوقَ الغصون حطيما

نشيدُ الأسَى

يا ليت شعري ! هل لليل النفس من صبح قريب ؟

فتقرّ عاصـفةُ الظلام ، ويهجَعَ الرعدُ الغضوب

ويرتّلَ الإنسانُ أغنيـةً مع الدنيـا ، طروب

***

ما للرياح تهبُّ في الدنيـا ، ويدركها اللُّغوب

إلاَّ رياحي ، فهيَ جامحةٌ ، تمرُّدُها عصـيب ؟

مالي تعذِّبني الحياة كأنني خَلْقٌ غريب ؟

وتهُـدُّ من قلبي الجميل ؟ فهل لقلبي من ذنوب ؟

وإذا سألتُ : « لِمَ الوجود ، وكلّه همٌّ مذيب ؟ »

قالت : « نواميسُ السماء قضتْ ، ومالك من هروب ؟ »

آهٍ على قلبي ! وإن شقيتْ كشِقوته قلوب

أنقى من الموج الوضيء ، ومن نشيد العندليب

لم تقترفْ إثمَ الحياة ، وكان مأواها اللهيب

***

يامهجةَ الغاب الجميـلِ ألمْ يصدِّعْكِ النحيب ؟

يا وجْنَـةَ الورد الأنيقِ ألمْ تشوِّهكِ النُّدوب ؟

يا جدولَ الوادى الطروب   ألم يرنِّقْكَ القطوب ؟

يا غيْمةَ الأفُق الخضيب   ألمْ تمزِّقكِ الخطوب ؟

يا كوكبَ الشفقِ الضحوكَ   أما ألَمَّ بكَ الشحوب ؟

ها أنت ذا فى الأفْق تضحكُ ، لاتهمُّ ، ولا تخيب

تُلقِى على قُنَن الجبال رداء لألاءٍ قشيب

لتنام أورادَ الجبال الشمِّ ، فى مَهْدٍ عجيب

ولكى تغنيك الجداولُ لحنَها العذبَ الحبيب

وترى جمالك من بنات الغاب مِعطارٌ ، لعوب

معشوقةٌ ، فى فرعها تاج من الورد الخضيب

تتلو أناشيدَ الربيع ، كأنها نجوى القلوب

يا كوكبَ الشفق الضحوك ! وأنت مُبتهلُ الكئيب

لُحْ فى السماء ! وغنِّ أبناء الشقاوة والخطوب

أنشودةً تَهَبُ العزاءَ لكل مُبتئسٍ غريب

فالطير قد أغفتْ ، وأسكتَ صوتَها الليلُ الهيوب

وابسطْ جناحكَ فى الوجود ، فإنه عذبٌ ، خَلُوب

متألِّقٌ بين النجوم ، كأنه حلم طروب

وانْشرْ ضِياءكَ ساطعاً ، لِيُنِيرَ أعماق القلوب

فعلى جوانبها من الأحزان ديْجُورٌ رهيب

***

ما للمياهِ نقيةٌ حوْلِي ، ويَنبوعِي مَشُوب ؟

ما للصباح يعـود للدنيا ، وصُبْحِي لايؤوب ؟

مالى يضيقُ بىَ الوجود ، وكلُّ ماحولى رحيب ؟

ما لى وَجِمْتُ وكلُّ مافى الغاب مغترد طروب ؟

ما لى شقِيتُ ، وكل مافى الكون أخَّاذٌ عجيب :

فى الأرض أقدام الربيع تلامس السهل الجديب

فإذا به يحيا ، وينبت رائق الزهر الرطيب

وهناك أنوار النهار تُطلُّ من خلف الغـروب

فتخضِّبُ الأمواج ، والآفاق ، والجبـــل الخصيب

إن الوجودَ الرحْبَ ، والغاباتِ ، والأفُقَ الخضيب

لمْ تخبُ أشواق الحياة بها ، فغادرها القطوب

أما أنا ففقدتها ، والليـــل مربدٌّ ، رهيب

والرِّيحُ تعصفُ بالورود . . ، فعشت سخريةَ الخطوب ...

* * *

مهما تضاحكت الحياة فإننى أبداً كئيب

أصغى لأوجاع الكآبة ، والكآبة لاتجيب

فى مهجتى تتأوَّهُ البـلوى ، ويعتلج النَّحيب

ويضجُّ جبَّارُ الأسى ، وتجيش أمواج الكروب

إنى أنا الرُّوحُ الذى سيظل فى الدنيـا غريب

ويعيش مضطلعاً بأحزان الشبيبة والمشيب

قلتُ للشِعْر

أنت ياشعر، فلذةٌ من فؤادى تتغنّى، وقطعةٌ من وجودى
فيك مافى جوانحى من حَنينٍ أبديٍّ إلى صميم الوجـــود
فيك مافى خواطرى من بكاء فيك مافى عواطفى من نشيد
فيك مافى مشاعرى من وُجومٍ لايغنى، ومن سرور عهيد
فيك مافى عوالمى من ظلامٍ سرمدى، ومن صباحٍ وليد
فيك مافى عوالمى من نجوم ضاحكات خلف الغمام الشرود
فيك مافى عوالمى من ضباب وسراب، ويقظـة، وهجود
فيك مافى طفولتى من سلامٍ، وابتسامٍ، وغبطةٍ، وسعود
فيك مافى شبيبتى من حنينٍ، وشجون، وبهجة، وجمود
فيك — إن عانق الربيع فؤادى — تتثنّى ســـنابلى وورودى
ويغنِّى الصباحَ أنشودة الحب، على مسمع الشباب السعيد
ثم أجنى فى صيْف أحلامىَ الساحر مالذَّ من ثمار الخلود
فيك يبدو خريف نفسى مَلُولاً، شاحبَ اللون، عارىَ الأملود
جلّلته الحيـاةُ باَلحزَن الدّا مى وغشّته بالغيوم الســود
فيك يمشى شتاء أيّامىَ البا كى، وتُرغى صواعقى ورعودى
وتجفُّ الزهور فى قلبىَ الدا جى، وتهوى إلى قرار بعيد...

أنت يا شعر قصة عن حياتى	أنت يا شعر صورة من وجودى

أنت ياشعر — إن فرحتُ — أغاريدى	— وإن غنَّت الكآبة — عودى

أنت يا شعر كأسُ خمرٍ عجيبٍ	أتلهى به خلال اللحود . . !

أتحسّاه فى الصباح ، لأنسى	ماتقضّى فى أمسىَ المفقود

وأناجيه فى المساء ، ليُلهِنىَ	مَرْآهُ عن ظلام الوجود

أنا لولاك لم أطق عنَتَ الدَّهر ،	ولا فُرْقة الصباح السعيد

أنت ما نلت من كهوف الليالى	وتصفَّحتُ من كتاب الخلود

فيك مافى الوجود من حَلَكٍ ، دا	جٍ ، وما فيه من ضياء ، بعيد

فيك ما فى الوجود من نَغَمٍ ،	حلوٍ ، وما فيه من ضجيج ، شديد

فيك ما فى الوجود من جبل ، وغورٍ ،	وما فيه من حضيضٍ ، وهِيد

فيك ما فى الوجود من حسكٍ ، يُدْمِى ،	وما فيه من غضيض الورود

فيك ما فى الوجود . . ، حبَّ بنو الأرض	قصيدى ، أم لم يُحبُّوا قصيدى

فسواء على الطيور — إذا غنَّتْ —	هُتافُ السُّؤوم والمستعيد

وسواء على النجوم — إذا لاحت —	سكونُ الدجى وقصفُ الرعود

وسواء على النسيم ، أفى الفقر	تَغَنَّى ، أمْ بين غضٍّ الورود

وسواء على الورود ، أفى الغيران	فاحتْ ، أم بين نهدٍ وجيد

يا إبنَ أمي

خُلقتَ طليقًا كطيف النسـيم ، وحرًّا كنور الضحى فى سماهْ
تغرِّدُ كالطير أيْنَ اندفعتَ ، وتشدو بما شاء وحيُ الإلٰه
وتمرحُ بين ورود الصباح ، وتنعم بالنــــــور ، أنّى تراه
وتمشى — كما شئتَ — بين المروج ، وتقطف ورد الرُّبا فى رُباه

***

كذا صاغكَ اللهُ ، يا ابن الوجود ، وألقتك فى الـكون هذى الحياه
فمالك ترضى بذل القيود ، وتَحنى لمن كبّلوك الجباه ؟
وتُسكتُ فى النفس صوتَ الحياة القويَّ إذا ماتغنّى صداه ؟
وتطبق أجفانك النيِّرات عن الفجر ، والفجرُ عذبٌ ضياه ؟
وتقنع بالعيش بين الـكهوف ، فأين النشيد ؟ وأين الإباء ؟
أتخشى نشيد السماء الجميل ؟ أترهب نور الفضا فى ضحاه ؟
ألا انهضْ ، وسر فى سبيل الحياة ، فمن نام لم تَنْتَظِرْهُ الحياه ؟
ولا تخشَ مَمّا وراء التلاع . . . فما ثمَّ إلا الضحى فى صباه . . .
وإلا ربيعُ الوجود الغريرُ ، يطرِّزُ بالوردِ ضافِى رداه . . .
وإلا أريجُ الزهور الصِّباحِ ، ورقصُ الأشعّةِ بينَ المياه . . .
وإلا حمامُ المروج الأنيقُ ، يغرِّدُ ، منطلقا فى غناه . . .
إلى النُّور ! فالنور عذبٌ جميلٌ ، إلى النور ! فالنور ظِلُّ الإلٰه

أغاني التائه

كان في قلبيَ فجرٌ ، ونجومْ ، وبحارٌ ، لا تُغَشّيها الغيومْ
وأناشيدٌ ، وأطيارٌ تحومْ وربيعٌ ، مُشْرِقٌ ، حلوٌ ، جميلْ
كان في قلبي صباحٌ ، وإباهْ وابتسامات ، ولكن ... واأساه !
آه ! ما أهولَ إعصارَ الحياةْ ! آه ! ما أشقى قلوب الناس ! آه !

كان في قلبيَ فجرٌ ، ونجومْ ،
فإذا الكلُّ ظلام وسديم . . . ،
كان في قلبيَ فجرٌ ، ونجومْ

***

يا بني أمّي ! تُرى أين الصباح ؟ قد تقضّى العُمْرُ والفجرُ بعيدْ
وطغى الوادي بمشبُوبِ النُّواحْ وانقضتْ أنشودة الفصل السعيد
أين نايي ؟ هل ترامتْه الرياح ؟ أين غابي ؟ أين محراب السجود .. ؟
خبّروا قلبي — فما أقسى الجراح ! — كيف طارتْ نشوةُ العيش الحميد ؟

يا بني أمّي ! تُرى أين الصباح ؟
أوراء البحر ؟ أم خلف الوجود ؟
يا بني أمي ! ترى أين الصباح ؟

***

ليت شعرى ! هل ستسليني الغداةْ وتُعزِّيني عن الأمس الفقيد

وتُريني أن أفراح الحياة زُمَرٌ تمضى ، وأفواجٌ تعود

فإذا قلبي صباح ، وإياه . . ، وإذا أحلاميَ الأولى ورود . . ،

وإذا الشُّحرور حلو النَّغمات . . ، وإذا الغاب ضياء ، ونشيد . . ؟

ليت شعرى ! هل ستسليني الغداة

أم ستنساني ، وتبقيني وحيد ؟

ليت شعرى ! هل تعزِّيني الغداة ؟

إلى قلبي التائه

ما لآفاقك يا قلبيَ سودًا ، حالكات ؟
ولأورادكَ بين الشوك صفرًا ، ذاويات ؟
ولأطيارك لا تلغو ؟ فأين النغمات ؟
ما لمزمارك لا يشدو بغير الشهقات ؟
ولأوتارك لا تخفق إلا شاكيات
ولأنغامك لا تنطق إلا باكيات
ولقد كانت صباحَ الأمس بين النسمات
كعذارى الغاب ، لا تعرف غير البسمات ؟
هوذا يا قلبيَ البحر ، وأمواج الحياة !
هوذا القارب مشدودًا إلى تلك الصفاة !
هوذا الشاطىء ! لكن أين رُبَّانُكَ ؟ مات !
أين أحلامك يا قلبي ؟ لقد فات الفوات !
تلك أطيارٌ ، أنيقاتٌ ، طرابٌ ، فرحات
غرَّدتْ ، ثم توارتْ في غيابات الحياة

***

أنت يا قلبيَ قلبٌ ، أنضجته الزفرات
أنت يا قلبيَ عشٌّ ، نفرت عنه القطاة

فأطارته إلى النهــــر الرياحُ العاتيات

فهو فى التيَّار أوراق ، وأعواد عراة

أنت حقلٌ ، مُجْدبٌ ، قد هزئت منه الرعاة

أنت ليلٌ ، مُعْتِمٌ ، تندب فيه الباكيات

أنت كهف ، مظلمٌ ، تأوى إليه البائسات

أنت صَرْحٌ ، شاده الحب على نهر الحياة

لبنات الشعر ، لــكن قوَّضته الحادثات

أنت قبرٌ ، فيه من أيامىَ الأولى رُفات

أنت عودٌ ، مزقت أوتارَه كفُّ الحياة

فهو فى وحشته الخرساء ، بين الـكائنات

صامتٌ كالقبر ، إلا من أنينِ الذكريات

أنت لَحْنٌ ساحرٌ ، يخبط فى التّيه المَوات

أنت أنشودةُ فَجْرٍ .. ، رتَّلتْها الظلمات ...

***

أيها السارى مع الظلمة ، فى غير أناة

مُطرِقًا ، يخبطُ فى الصحراء ، مكبوحَ الشكاة

تِهْتَ فى الدنيا ، وما أُبْتَ بغير الحسرات

صلِّ ياقلبى إلى الله ، فإن الموت آت

صل فالنّازع لا تبقَى له غير الصلاة

أكرثت يا قلبي فماذا تروم ؟

يا قلبيَ الدامي ! إلامَ الوجوم ؟
يكفيك ! إن الحزن فظٌّ ، غشوم
هذي كؤوسي مُرَّةٌ ، كالردى
ما مِلْؤها إلا عصير الهموم
وذاكَ نايي صامتٌ ، واجمٌ
يُصغي إلى صوت الغرام القديم
يا قلبي الباكي ، إلام البُكى ؟
ما في فضاء الكون شيء يدوم
فانْثُرْ غُبارَ الحزن فوق الدجى
واسمعْ إلى صوت الشباب الرخيم
وانْقُرْ على دفٍّ الهوى لحنَه
وارقص مع النور الضحوك الوسيم
يا قلبيَ الداجي ! إلام الوجوم ؟
إن لَمْ أَلُمْ قلبي فَمَنْ ذا ألوم ؟
مالك لا تصغي لغير الأسى ؟
مالك لا ترْنو لغير الكلوم ؟

مالكَ قد أصبحتَ لا تصرفُ الأيامَ
إلا في شِعاب الجحيم ؟
أما ترى البلبل في غابه
يشدو ، وفوق الغاب تخطو النجوم ؟
أما ترى الأسحار تبدو بها الغابات
كالأحلام — خلفَ السديم
أما ترى الآمال في سحرها ؟
أما ترى الليل يناغي النجوم ؟

***

يا قلبيَ الداجي ! إلام الوجوم ؟
أكثرت يا قلبي ، فماذا تروم ؟
هل تحسبُ الأيامَ في زَحْفِها
ترثي لمن قد هدَّمَتْهُ الرجوم ؟
كلاَّ ! فإن الدهر يمضي ولا
يلوي على ما خلفه من كليم
واليمُّ لا يرثي لمن طمَّه
والسيل لا يبكي لنوح الهشيم
والعاصف الجبَّار في سخطه
لا يرحم الغصن ، الرشيقَ ، القويم
هذي هيَ الدنيا فماذا الأسى
يا قلبيَ الدامي ، وماذا الوجوم ؟

يا موت

هى صرخة من صرخات نفسى المملوءة بالأحزان والذكريات ، وشظية من شظايا هذا القلب المحطم على صخور الحياة ، قلتها فى أيام الأسى التى تلت نكبتى بوفاة الوالد ، رحمه الله .

يا موتُ ! قد مزَّقتَ صدرى

وقصمْتَ بالأرزاء ظهـرى

ورميْتَنى من حالقٍ ، وسخرتَ منّى أىَّ سخر

فلبثتُ مرضوضَ الفؤاد ، أجرُّ أجنحتى بذعر . .

وقسوْتَ إذ أبقيتنى فى الكون أذرعُ كلَّ وعْر

وفجعتنى فيمن أحب ، ومن إليْه أبُثُّ سرّى

وأعدُّه ، فجرى الجميلَ ، إذا أدلهمَّ علىَّ دهرى

وأعدُّه ، وَرْدِى ، ومزمارى ، وكاساتى ، وخمرى

وأعده ، غابى ، ومحرابى ، وأغنيتى ، وفجرى . . .

ورزأتنى فى عمـــدتى ، ومشورتى فى كل أمر

وهدمتَ صرْحاً ، لا ألوذ بغيره ، وهتكت سترى

ففقدْتُ روحاً ، طاهراً ، شهماً ، يجيش بكل خير

وفقدتُ قلباً ، همُّه أن يستوى فى الأفق بذْرى

وفقدتُ كفًّا ، فى الحياة يصُدُّ عنِّى كل شر

وفقدتُ وجهاً ، لا يُعَبِّسه سوى حزَنى وضُرى

وفقدتُ نفساً ، لا تَنِى عن صوْن أفراحى وبشرى

وفقدت رُكْنِى فى الحياة ، ورايَتى ، وعمادَ قصرى

***

ياموت ! قد مزَّقتَ صدرى

وقصمْتَ بالأرزاء ظهرى

ياموتْ ! ماذا تبتغى منِّى وقد مزَّقتَ صدرى ؟

ماذا تودُّ ، وأنت قد سوَّدتَ بالأحزان فكرى

وتركتنى فى الكائنات أئنُ ، منفرداً بإضْرى

وأجوبُ صحراء الحياة ، أقول : « أينَ تُراهُ قبرى ؟ »

ماذا تَوَدُّ من المعذَّب فى الوجود بغيرِ وِزْر ؟

ماذا تَوَدُّ من الشقيِّ بعيشه ، النَكِدِ ، المُضِر ؟

إن كنتَ تطلبنى فهاتِ الكأسَ ، أشربُها بصبر

أو كنتَ ترقبنى فهاتِ السَّهمَ ، أرشقه بنحرى

خذنى إليك ! فقد تبخَّرَ فى فضاءِ الهمِّ عُمرى . . .

وتهدَّلتْ أغصانُ أيامى ، بلا ثَمَرٍ وزهر

وتناثرتْ أوراق أحلامى على حسَك الممر . . .

خذنى إليك ! فقد ظمِئْتُ لكأسكَ ، الكدِرِ ، الأمرِّ . .

خذنى فقد أصبحتُ أرقبُ فى فضاكَ الجوْنِ فجرى

خذنى ، فما أشقى الذى يقضى الحياة بمثل أمرى . . .

***

ياموت ! قد مزّقْتَ صدرى

وقصمتَ بالأرزاء ظهرى

ياموت ! قد شاع الفؤاد ، وأقفرتْ عرصات صدرى

وغدوت أمشى مطرقاً من طول ما أثقلت فكرى

ياموت ! نفسى ملّت الدنيا ، فهل لم يأت دوْرى

إلى الله

تعرض لقلب الإنسان الذى لاتنتهى أطواره أزمات نفسية ثائرة ، يعصف فيها الألم والقنوط بكل حقائق الحيـاة ، وتتزعزع معها كل قواعد الإيمان والحق والجمال ، فيشعر المرء كأنما انبت مابينه وبين الـكائنات من وشائج الرحم والقربى ، فأصبح غريبا فى هاته الدنيا الغريبة فى نفسه ، وكأنما الحياة فن من العبث المرعب الممل الذى لايجدر بالعطف ولا بالبقاء . ولـكن من رحمة الأقدار أنها حال عارضة لاتدوم إلا كما تدوم عاصفة البحر. تـكدر صفاءه، وتحيل جماله إلى شناعة . وأنغامه إلى عويل . وانسجامه إلى فوضى ثم تقر العاصفة وتسكن ويرجع البحر إلى زرقته الصافية ، وألحانه المتزنة . وجماله الساحر الأبدى — وتحت تأثير هاته الحالة النفسية الجامحة نظمت القصيد التالى ونفسى سكرى بأحزانها الدامية وآلامها المتشحة باللهيب .

يا إله الوجود ! هـذى جراح — فى فؤادى ، تشكو إليك الدواهى

هـذه زفرةٌ يُصعِّدها الهمُّ — إلى مسمع الفضاء الساهى

هذه مهجة الشقاء تناجيك — فهل أنت سامع ياإلٰهى ؟

***

صورةٌ للوجود شوهاء ، لولا   شفقُ الحسن فوق تلك الخدود

* * *

يا زهور الحياة ، للحب أنتنّ   ولكنه مُخيفُ الورود

فسبيلُ الغرام جمٌّ المهاوى   وافرُ الهول ، مُستراب الصعيد

راعَ مافيه من جمالٍ ، وفنٍّ   عبقريٍّ ، ما إنْ له من مزيد

وأناشيد ، تسكرُ الملأَ الأعلى ،   وتُشجِى جوانحَ الجلمود

وأريجٍ ، يكاد يذهب بالألباب   ما بين غامضٍ وشديد

وسبيلُ الحياة رحْبٌ ، وأنتنّ   اللواتى نفرشنه بالورود

إن أردتنّ أن يكون بهيجاً   رائع السحر ، ذا جمالٍ فريد

أو بشوكٍ ، يُدمِي الفضيلةَ والحبّ   ويقضى على بهاء الوجود

إن أردتُنّ أن يكون شنيعاً ،   مظلم الأفْق ، ميِّتَ التغريد

الأشواق التائهة

يا صميمَ الحياة ! إني وحيد   مدلجٌ ، تائه . فأين شروقُكْ ؟

يا صميمَ الحياة ! إني فؤادٌ   ضائع ، ظامئ . فأين رحيقك ؟

يا صميمَ الحياة ! قد وجَمَ النايُ   وغام الفضا . فأين بروقك ؟

يا صميمَ الحياة ! أين أغانيك !   فتحت النجوم يُصغي مَشوقك

***

كنتُ في فجرك ، الموشّح بالأحلام ، عِطْراً ، يُرِفُّ فوق ورودكْ

حالمًا ، ينهل الضياءَ ، ويُصغي   لكَ ، في نشوةٍ بوحي نشيدك

ثمَّ جاء الدجى . . ، فأمسيتُ أوراقاً ، بداداً ، من ذابلات الورود

وضباباً من الشذى ، يتلاشى   بين هول الدجى وصمت الوجود

كنتُ في فجركَ المغلَّف بالسحر ،   فضاءً من النشيد الهادي

وسحاباً من الرُّؤى ، يتهادى   في ضميرِ الآزال والآباد

وضياءً ، يعانق العالَمَ الرحب ، ويسرى في كل خافٍ وباد

وانقضى الفجرُ . . ، فانحدرتُ من الأفق تراباً إلى صميم الوادي

***

يا صميم الحياة ! كم أنا في الدنيا غريبٌ ! أشقى بغربة نفسي

بين قومٍ ، لا يفهمون أناشيدَ فؤادي ، ولا معانيَ بؤسي

في وجودٍ مكبّل بقيودٍ ، تائهٍ في ظلام شكّ ونحس
فاحتضنّي ، وضمّني لك — كالماضى — فهذا الوجودُ علّةُ يأسى

* * *

لم أجد في الوجود إلا شقاءً ، سرمديًّا ، ولذّةً ، مضمحلّهْ
وأمانيَّ ، يُغرق الدمعُ أحلاها ، ويُفنى يمُّ الزمان صداها
وأناشيدَ ، يأكل اللهيبُ الدّامي مسرّاتها ، ويُبقي أساها
وورودًا ، تموت في قبضة الأشواك . ما هذه الحياة المُملّهْ ؟ !
سأمٌ هـذه الحياة مُعادٌ وصباحٌ ، يكرّ في إثر ليل
ليتني لم أفِدْ إلى هذه الدنيا ، ولم تسبح الـكواكبُ حولى !
ليتني لم يعانق الفجر أحلامى ، ولم يلثم الضياء جفونى !
ليتني لم أزل — كما كنت — ضوءًا ، شائعًا في الوجود ، غيرَ سجين !

أحلام شاعر

ليت لى أن أعيش فى هذه الدنيا سعيداً بوحدتى وانفرادى
أصرف العمر فى الجبال ، وفى الغابات ،
بين الصنوبر الميّاد

ليس لى من شواغل العيش مايصرف نفسى عن استماع فؤادى
أرقبُ الموتَ ، والحياةَ ، وأصغِى لحديث الآزال والآباد
وأغنِّى مع البلابل فى الغاب ، وأصغِى إلى خرير الوادى
وأناجى النجومَ ،والفجرَ ،والأطيارَ والنهرَ ، والضياءَ الهادى
عِيشةً للجمال ، والفن ، أبغيها بعيداً عن أمّتِى وبلادى
لا أُعَنِّى نفسى بأحزان شعبى فهو حىٌّ ، يعيشُ عَيْشَ الجماد!
وبحسبى من الأسى ما بنفسى من طريفٍ مُسْتَحْدَثٍ وتِلاد
وبعيداً عن المدينة ، والناس ، بعيداً عن لغو تلك النوادى
فهو من معدن السخافة والإفك ومن ذلك الهُراء العادى
أينَ هُو من خريرِ ساقية الوادى وخفْقِ الصدى ، وشدوِ الشادى
وحفيفِ الغصون ، نمّقها الطلُّ وهمسِ النسيم للأوْراد ؟
هذه عِيشةٌ تقدِّسها نفسى وأدعو لمجدها ، وأنادى

قيود الأحلام

وأوَدُّ أن أحيا بفكرة شاعر   فأرى الوجودَ يضيق عن أحلامى

إلاَّ إذا قطّعتُ أسبابى مع الدنيا   وعشتُ لوحدتى وظلامى

فى الغاب ، فى الجبل البعيد عن الورى   حيث الطبيعة ، والجمال السامي

وأعيشُ عِيشةَ زاهدٍ مُتَنَسِّكٍ   ما إنْ تُدَنِّسه الحياة بذام

هَجَرَ الجماعة للجبال ، تورُّعًا   عنها ، وعن بطش الحياة الدامى

تمشى حواليْه الحياة كأنها   الحلمُ الجميل ، خفيفةَ الأقدام

وتَخِرُّ أمواج الزمان رهيبة   قدسيَّةً ، فى يمِّها المترامى

فأعيش فى غابى حياةً ، كلها   للفنِّ للأحلام ، للإلهام

لكننى لا أستطيع ، فإنَّ لى   أمًّا ، يصدُّ حنانُها أوهامى

وصِغارَ إخوانٍ ، يرون سلامهم   فى الكائنات معلَّقًا بسلامى

فقدوا الأب الحانى ، فكنتُ لضعفهم كهفاً ، يَصُدُّ غوائلَ الأيام

ويَقيهم وَهَجَ الحياة ، ولفحَها   ويذود عنهم شِرَّةَ الآلام

فأنا المكبَّلُ فى سلاسلَ ، حيَّةٍ ،   ضحَّيْتُ من رأفي بها أحلامى

وأنا الذى سكَنَ المدينة ، مُكْرَهًا   ومشى إلى الآتى بقلبٍ دام

يصغى إلى الدنيا السخيفةِ راغماً   ويعيش مثل الناس بالأوهام

وأنا الذى يحيا بأرض ، قفرةٍ   مدحوَّةٍ للشكِّ والآلام . . .

هجمتْ بىَ الدنيا على أهوالها وخِضَمِّها الرحب ، العميق الطامي

من غير إنذارٍ فأحملَ عُـدَّتى وأخوضه كالســابح العوَّام

فتحطّمتْ نفسى على شـطآنه وتأجّجتْ فى جـوِّه آلامى

* * *

الويل للدنيــا التى فى شرْعِها فأسُ الطغام كريشةِ الرسام ؟

؟

أرى هيكلَ الأيام يعلو ، مُشيَّدًا ولا بد أن يأتى على أُسِّه الهدمُ

فيُصبِـحَ ما قد شيَّد اللهُ والورى خراباً ، كأنَّ الهيكلَ فى أمسه وهم !

فقل لىَ : « ما جدْوَى الحياةِ وكرْبِها ، وتلك التى تذوِى ، وتلك التى تنمو ؟ »

« وفوْجٍ ، تغذّيه الحياةُ لِبانَها ، وفوْجٍ ، يُرى تحت التراب له ردم ؟ »

« وعقْلٍ ، من الأضواء ، فى رأس نابغ وعقلٍ ، من الظلماء ، يحمله قدَم ؟ »

« وأفئـدةٍ حسرى ، تذوب كآبة وأفئدةٍ سكرى ، يرِفُّ لها النجم ؟ »

لِتعْسِ الورى ، شاء الإله وجودَهم فـكان لهم جهلٌ ، وكان لهم فهمُ ! !

أنا أبكيكِ للحُبْ

لستُ يا أمسيَ أبكيك لمجـــدٍ أو لجاهْ
سلبته منِّيَ الدُّنيا ، وبزّتنى رداهْ
فأنا أحتقرُ المجـــدَ وأوهامَ الحياهْ

***

أو لعُمْرٍ ، بلغتْ منـه اللّيالى منتهاهْ
وتلاشتْ فى خضم الزَّمَنِ الطاغى قواهْ
فأنا ما زلت فى فجر شبابى أو ضُحاه

***

لا ، ولا أبكيكَ يا أمسى ، إذا ما قلتُ : « آهْ »
لنعيمٍ ، لم ينَلْ قلبيَ منـه مُشْتهاهْ
فبنُو الأيام فى الدنيا كما شـاء الإلٰه

***

إنما أبكيك للحبِّ ، الذى كان بَهاهْ
يَمْلأُ الدنيا فأنَّي سرتُ فى الدُّنيا أراهْ
فإذا ما لاحَ فَجْرٌ ، كان فى الفجر سناهْ
وإذا غرَّد طيرٌ ، كان فى الشّذْو صداه

وإذا ما ضاع عِطْرٌ ، كان فى العطر شذاهْ

وإذا ما رفّ زهرٌ ، كان فى الزّهر صِباهْ

فهو فى الكون جمالٌ ، يملأ الأُفْقَ ضِياهْ

وتُوَشّى هذه الأكوانَ بالسّحر رُؤاهْ

وهو فى قلبى — الذى عانقه الفجرُ — إلهْ !

عبقرىٌّ السِّحر ، ممراحٌ ، وديعٌ فى سماهْ

يَنْسجُ الأحلامَ فى قلبِي بأضواء الحياهْ

ويُغنِّينى ، فأنسَى فى مسرّاتِ غناهْ

كلَّ ما فى الكون من حزنٍ وأفراحٍ ، عداهْ

سِرُّ النهوض

لا ينهض الشعبُ إلاّ حين يدفعه

عزمُ الحياة ، إذا ما استيقظتْ فيه

والحبُّ يخترق الغبراء ، مندفعًا

إلى السماء ، إذا هبّتْ تناديه

والقيْدُ يألفه الأمواتُ ، ما لبثوا

أمّا الحيـــاةُ فيُبْليها وتُبْليه

أبناء الشيطان

أيُّ ناسٍ هذا الورى ؟ ما أرى إلاّ برايا ، شقيَّةً ، مجنونهْ
جبَّلتْها الحياةُ في ثورة اليأسِ من الشرِّ ، كيْ تُجَنَّ جنونه
فأقامتْ له المعابدَ ، في السكون ، وصلَّت له وشادت حصونهْ

***

كم فتاةٍ جميلةٍ ، مدحوها وتغنَّوْا بها لكيْ يُسقِطوها
فإذا صانت الفضيلة عابوها ، وإن باعت الخنا عبدوها
أصبحَ الحسنُ لعنةً ، تهبط الأرض ، ليغوى أبناؤُها وذووها

***

وشقيٍّ ، طاف المدينةَ ، يستجدى ليحيا ، فخيَّبوه احتقارا
أيقظوا فيه نزعة الشرِّ ، فانقضَّ على الناسِ فاتكاً جبَّارا
يبذر الرُّعبَ في القلوبِ ، ويُذكِي — حيثما حلَّ — في الجوانح نارا

***

ونبيء ، قد جاء للناس بالحق ، فكالوا له الشتائمَ كيْلا
وتنادَوْا به : « إلى النار ! فالنار بروح الخبيث أحرى وأوْلى »
ثُمَّ ألقوه في اللهيب ، وظلُّوا يملأون الوجودَ رُعبًا وهوْلاَ

***

وشعوبٍ ، ضعيفةٍ ، تتلظّى في جحيم الآلامِ عامًا فعاما
والقويُّ الظلومُ يَعْصِرُ من آلامها السُّودِ لَذةً ومُدَاما
يتحسّاه ضاحكاً .. ، لا يراها خُلِقَتْ في الوجود إلاّ طعاما !

***

وفتاةٍ حسبتُها مَعْبَدَ الحبِّ ، فألفيْتُ قلبَها مَا خُورا !
ونبيلٍ ، وجدته في ضياء الفجر قلبًا ، مُدَنَّسًا ، شرِّيرا !
وزعيمٍ أجلّه النّاسُ حتى ظنَّ في نفسه إلٰهاً صغيرا !

***

وخبيثٍ ، يعيشُ كالفأسِ ، هدَّامًا ، ليَعْلُو بينَ الخراب بناءُهْ
وقميء ، يُطاولُ الجبَلَ العالِي ، فلله ما أشدَّ غباءَهْ !
ودنيء ، تاريخُهُ في سِجلِّ الشرِّ : إفكٌ ، وقِحّةٌ ، ودناءَهْ

***

كان ظنِّي أنَّ النفوس كِبارٌ فوجدتُ النفوس شيئاً حقيرا
لوّثتهُ الحياةُ ثمَّ استمرَّتْ تبذرُ العالَمَ العريضَ شرورا
فاحصدوا الشَّوْكَ .. ، يا بنيها وضِجُّوا
واملأُوا الأرض والسماء حبورا

صلوات في هيكل الحب

عذبةٌ أنتِ كالطفولةِ ، كالأحلام   كاللحن ، كالصباح الجديدِ

كالسماء الضحوكِ كالليلة القمراء   كالورد ، كابتسام الوليد

يا لها من وداعةٍ وجمال   وشبابٍ مُنَعَّمٍ أملود !

يا لها من طهارةٍ ، تبعثُ التقديـ   ـسَ فى مهجة الشقيِّ العنيد ! . . .

يا لها رقةً تكادُ يَرِفُّ الورْ   دُ منها فى الصخرة الجلمود !

أيُّ شيء تُراكِ ؟ هل أنتِ «فينيسُ»   تَهادتْ بين الورى من جديد

لِتُعيدَ الشبابَ والفرحَ المعسولَ   للعالم التعيسِ العميد !

أم ملاكُ الفردوس جاء إلى الأر   ض ليُحْيِي روحَ السلام العهيد !

أنتِ . . . ، ما أنتِ ؟ رسمٌ جميلٌ   عبقريٌّ من فنِّ هذا الوجود

فيكِ ما فيه من غموضٍ وعمقٍ   وجمالٍ مُقَدَّسٍ معبود

أنتِ .. ما أنت ؟ أنت فجرٌ من السحر   تجلى لقلبيَ المعمود

فأراه الحياةَ فى مونقِ الحسن   وجلّى له خفايا الخلود

أنتِ روح الربيع ، تختال فى الدنيا   فتهتزُّ رائعاتُ الورود

وتهبُّ الحياة سكرى من العِطْر ،   ويدْوى الوجودُ بالتغريد

كلما أبصرتكِ عيناىَ تمشين   بخطوٍ موقَّعٍ كالنشيد

خفقَ القلبُ للحياة ، ورفَّ الزهـ   ـرُ فى حقل عمرىَ المجرود

وانتشتْ روحيَ الكئيبةُ بالحبِّ وغنتْ كالبلبل الغرِّيد

أنتِ تُحيينَ في فؤاديَ ماقد مات في أمسيَ السعيدِ الفقيد

وتشيدين في خرائب روحي ما تلاشى في عهديَ المجدود

من طموحٍ إلى الجمالِ إلى الفنِّ ، إلى ذلك الفضاء البعيد

وتَبُثِّين رقة الشوق ، والأحلامِ والشدوِ ، والهوى ، في نشيدي

بعد أن عانقتْ كآبةُ أيَّامي فؤادِي ، وألجمتْ تغريدي

أنتِ أنشودة الأناشيد غناكِ إلهُ الغناءِ ، رَبُّ القصيد

فيكِ شبَّ الشبابُ ، وشَّحهُ السِّحْرُ وشدوُ الهوى ، وعِطْرُ الورود

وتراءى الجمالُ ، يرقص رقصًا قُدُسيًّا ، على أغاني الوجود

وتهادتْ في أُفْقِ روحك أوزانُ الأغاني ، ورقَّةُ التغريد

فتمايلتِ في الوجود ، كلحنٍ عبقريِّ الخيالِ حلوِ النشيد :

خطواتٌ ، سكرانةٌ بالأناشيد ، وصوتٌ ، كرجْعِ ناي بعيد

وقوامٌ ، يكاد ينطق بالألحان في كلِّ وقفةٍ وقعود

كلُّ شيءٍ موقَّعٌ فيكِ ، حتَّى لفتةُ الجيد ، واهتزازُ النهود

أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ في قدْسها السامي ، وفي سحرها الشجيِّ الفريد

أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ ، في رِقَّةِ الفجر وفي رونق الربيع الوليد

أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ ، كلَّ أوانٍ في رُواء من الشباب ، جديد

أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ فيكِ وفي عينَيْكِ آياتُ سحرها الممْدُود

أنتِ دنيا من الأناشيد والأحْلام والسحْر والخيال المديد

أنتِ فوْق الخيال ، والشِّعرِ ، والفنِّ وفوْق النُّهَى وفوق الحـدودِ
أنتِ قُدْسِي ، ومَعبدى ، وصباحى ، وربيعى ، ونَشْوَتى ، وخلودى

***

يا ابنةَ النُّور ، إننّى أنا وَحْدى مَن رأى فيك رَوْعة المعبـود
فدَعِينى أعيشُ فى ظِلك العذب وفى قرب حُسـنك المشهود
عِيشة للجمال ، والفن ، والإلهام والطُّهر ، والسنَى ، والسـجود
عِيشة الناسك البتول يُناجى الرَّ بَّ فى نشْوَةِ الذُّهول الشديد
وامنحينى السلامَ والفرحَ الرو حىَّ ياضَوْءَ فجرىَ المنشـود
وارحمينى ، فقدْ تهدَّمتُ فى كو نٍ من اليأس والظلام مَشيدِ
أنقذينى من الأسى ، فلقد أمسيـ تُ لا أستطيع حملَ وجودى
فى شعاب الزّمان والموت أمشى تحت عِبْءِ الحياة جَمَّ القيود
وأماشى الورَى ونفسىَ كالقبـ رِ ، وقلبى كالعالم المهدود :
ظُلمَةٌ ، ما لها ختامٌ ، وهولٌ شـائعٌ فى سكونها الممدود
وإذا ما استخفّنى عبَثُ الناس تبسَّمتُ فى أسىً وجُمـود
بسمةٌ مُرَّةٌ ، كأنّىَ أسْتَلُّ من الشَّوك ذابلاتِ الورود
وانفخى فى مشاعرى مَرَحَ الدنيا وشُـدِّى من عزمىَ المجهود
وابعثى فى دمى الحرارة ، عَلِّى أتغنَّى مع المُنى مِن جـديد
وأبُثُّ الوجـودَ أنغامَ قلبٍ بُلبُلِيٍّ ، مكبَّلٍ بالحـديد

فالصباحُ الجميلُ يُنعشُ بالدِّفْءِ حيـاةَ المُحطَّمِ المكدود
أَنْقذيني، فقد سئمتُ ظلامي! أَنْقذيني، فقد مللتُ ركودي؟

***

آهِ يا زهرتي الجميـلةُ لو تدرِين ما جَدَّ في فؤادِي الوحيـد
في فؤادِي الغريبِ تُخْلَقُ أَكوانٌ من السحر ذات حسن فريد
وشموسٌ وضَّاءَةٌ ونجـومٌ تنثر النـورَ في فضاء مديد
وربيعٌ كأنه حُلُمُ الشَّاعِرِ في سَـكرة الشباب السعيد
ورياضٌ لا تعرف الحلَكَ الداجِي ولا ثورةَ الخريف العتيـد
وطيورٌ سحريَّةٌ تتناغى بأناشـيدَ حلوةِ التغريد
وقصورٌ كأنها الشَّفَق المخْضوب أو طلعة الصباح الوليد
وغيـومٌ رقيقة تتهادى كأباديـدَ من نثارِ الورود
وحياةٌ شـعريَّةٌ هي عندي صورة من حياة أهل الخلود
كلُّ هذا يشيده سحرُ عينيك وإلهامُ حسنك المعبـود
وحرام عليكِ أن تهدمي ما شادهُ الحُسنُ في الفؤاد العميد
وحرام عليكِ أن تسْحَقي آمـالَ نفسٍ تصبو لعيشٍ رغيد
منكِ ترجو سـعادةً لم تجدها في حياة الورى وسحر الوجود
فالإِلٰهُ العظيمُ لا يَرْجُمُ العَبْدَ إذا كان في جلال السجود

أراكِ

أراكِ ، فتحلو لدىّ الحياة ويملأُ نفسى صباحُ الأملْ
وتنمو بصدرى وُرودٌ عِذابٌ وتحنو على قلبىَ المشتعلْ
ويفتننى فيكِ فيضُ الحياة وذاكَ الشّبابُ ، الوديعُ ، الثمِل
ويفتننى سِحرُ تلكَ الشفاه ترفرف من حولهن القُبَل
فأعبُدُ فيكِ جمالَ السماء ، ورقّةَ وَرْدِ الربيع ، الخضِل
وطُهْرَ الثلوج ، وسِحْرَ المروج مُوَشّحةً بشعاع الطّفَلْ

***

أراكِ ، فأخْلَقُ خَلْقا جديدا كأنّىَ لم أبْلُ حربَ الوجودْ
ولم أحتمل فيه عِبئاً ، ثقيلاً من الذكريات التى لا تَبيدْ
وأضغاثِ أيامىَ ، الغابرات وفيها الشقىُّ ، وفيها السعيدْ
ويغمُرُ روحِى ضياءٌ ، رفيقٌ تكلله رائعاتُ الورود
وتُسْمِعُنِى هاته الكائناتُ رقيقَ الأغانى ، وحُلْوَ النشيد
وترقص حولِى أمانٍ ، طِرابٌ وأفراحُ عُمرٍ خَلِىٍّ ، سعيد

***

أراكِ ، فتخفق أعصابُ قلبى وتهتزُّ مثلَ اهتزاز الوتَرْ
ويُجرِى عليها الهوى ، فى حُنُوٍّ أناملَ ، لُدْناً ، كرَطْب الزهر
فتخطو أناشيدُ قلبىَ ، سكْرَى تغرِّدُ ، تحت ظِلال القمرْ
وتملأُنى نشوةٌ ، لا تُحَدُّ كأنِّىَ أصبحتُ فوقَ البشرْ
أوَدُّ بروحى عناقَ الوجودِ بما فيه من أنفسٍ ، أو شجر
وليلٍ يفرُّ ، وفجرٍ يكرُّ وغَيْمٍ ، يُوَشِّى رداءَ السحرْ

رثاء فجر

يا أيها الغاب ، المُنَمَّقُ بالأشعَّةِ والورود
يا أيها النور النقىُّ ! وأيُّها الفجر البعيد!
أين اختفيتَ ؟ وما الذى أقصاكَ عن هذا الوجود
آهٍ ! لقد كانت حياتى فيك حالمةً ، تميد
بين الخمائل ، والجداول ، والترنم ، والنشيد
تُصغِى لنجواكَ الجميلةِ ، وهى أغنيةُ الخلود
وتعيش فى كونٍ من الغَفَلات ، فتّانٍ ، سعيد
آهٍ ! لقد غنّى الصباحُ ، فَدَمْدَمَ الليلُ العتيد
وتألّق الفجرُ الوضئ ، فأعتمَ الغيْمُ الركود
ومضى الردى بسعادتى ، وقضى على الحب الوليد

فكرة الفنان

عش بالشعور ، وللشعور ، فإنما دنياكَ كونُ عواطف وشعور
شِيدَتْ على العطفِ العميق ، وإنها لتجفُّ لو شِيدتْ على التفكير
وتظلُّ جامدةَ الجمالِ ، كئيبةً كالهيكلِ ، المتهدِّم ، المهجور
وتظل قاسيةَ الملامحِ ، جَهْمَةً كالموتِ . مُقفِرةً ، بغير سرور
لا الحبُّ يرقص فوقها متغنيًّا للناس ، بين جداولٍ وزهور
مُتَوَرِّدَ الوجناتِ سكرانَ الخطا يهتزُّ من مَرَحٍ ، وفرط حبور
متكلِّلاً بالوردِ ، ينثر للورى أوراقَ وردِ « اللَّذةِ » المنضور
كلاَّ ! ولا الفنُّ الجميلُ بظاهرٍ في الكون تحت غمامةٍ من نور
مُتَوَشِّحًا بالسِّحْرِ ، ينفخ نايَه الـمشبوبَ بين خمائلٍ وغدير
أو يلمس العودَ المقدَّسَ ، واصفاً للموت ، للأيام ، للديجور
ما في الحياة من المسرة ، والأسى والسِّحْرِ ، واللَّذات ، والتغرير
أَبَدًا ولا الأملُ المُجَنَّحُ مُنْشِدًا فيها بصوت الحالمِ ، المحبور
تلك الأناشيد التي تَهَبُ الورى عزْمَ الشبابِ ، وغبْطةَ العصفور

* * *

واجعل شعورَك ، في الطبيعة قائدًا فهو الخبير بتيهها المسحور
صَحِبَ الحياةَ صغيرةً ، ومشى بها بين الجماجم ، والدمِ المهدور

وعَدَا بها فوق الشواهِق ، باسماً متغنيا ، من أعصُرٍ ودهور

والعقلُ ، رغمَ مَشيبِه ووَقاره ، ما زال فى الأيام جِدَّ صغيرِ

يمشى .. ، فتصرعه الرياح .، فَيَنْثَني مُتَوجِّعًا ، كالطائر المكسور

ويظلُّ يسألُ نفسه ، متفلسفاً مُتَنَطِّساً ، فى خِفَّةٍ وغرور :

عمَّا تُحَجِّبُهُ الكواكبُ خلفَها من سرِّ هذا العالَمِ المستور

وهو المهشَّمُ بالعواصفِ .. ! يالَهُ من ساذجٍ ، متفلسفٍ ، مغرور !

* * *

وافتحْ فؤادكَ للوجود ، وخلِّه لليمِّ ، للأمواج ، للديجور

للثَّلج تنثُرُهُ الزوابعُ ، للأسى للهول ، للآلام ، للمقدور

واتركه يقتحم العواصفَ ، هائماً فى أفقْها ، المتلبِّد ، المقرور

ويخوض أحشاءَ الوجود ، مُغَامِرًا فى ليلِها ، المتهيِّب ، المحذور

حتَّى تعانقه الحياةُ ، ويرتوِى من ثغرِها المتأجِّجِ ، المسحور

فتعيشَ فى الدنيا بقلبٍ زاخرٍ يقظِ المشاعِرِ ، حالمٍ ، مسحور

فى نشوةٍ ، صُوفيَّةٍ ، قدُسيةٍ هىَ خير ما فى العالَمِ المنظور

قلب الأمّ

يا أيُّها الطفلُ الذى قد كان كاللّحن الجميلْ
والوردةِ البيضـاء ، تعبَق فى غيابات الأصيل

يا أيُّها الطفلُ الذى قد كان فى هذا الوجودْ ،
فرِحًا ، يناجى فتنةَ الدنيا بمعسـول النشيد

ها أنتَ ذا قد أطبقتْ جفنَيْك أحلامَ المنونْ
وتطايرتْ زُمرُ الملائكِ حولَ مضجعكَ الأمين

ومضتْ بروحك للسماء عرائسُ النُّورِ الحبيبْ
يحمِلنَ تيجاناً ، مُذَهَّبَةً ، من الزَّهَر الغريبْ

ها أنت ذا قد جلَّلتْكَ سكينةُ الأبدِ الكبيرْ
و بكتك هاتيك القلوبْ ، وضمَّك القبرُ الصغير

وتفرَّق الناسُ الذين إلى المقابر شـيَّعوكْ
ونسُوكَ من دنياهُم ، حتى كأَنْ لم يعرفوك

شغلتهمُ عنكَ الحياةُ ، وحربُ هذى الكائناتْ
إنَّ الحياةَ ــ وقد قضيْتَ قُبيْلَ معرفةِ الحياةْ ــ

بحرٌ ، قرارته الرَّدى ، ونشيدُ لُجَّته ، شَكاةْ
وعلى شواطئه القلوبُ تئنُّ ، دامية عُـراةْ

بحرٌ ، تجيشُ به العواصفُ فى العشيّةِ والغداةْ
وتُظِلُّهُ سُحُبُ الظلام ، فلا سكونَ ولا إياةْ
نَسِيَتْكَ أمواجُ البُحَيْرَةِ ، والنجومُ اللاّمعهْ
والبلبلُ الشادى ، وهاتيك المروجُ الشاسعهْ
وجداولُ الوادى النضـيرِ برقصها وخريرها
ومسالكُ الجبل الصغـير بعُشْبها وزُهورها
حتّى الرفاقُ . . ، فإنهم لبثوا مدًى يتساءلونْ
فى حيرةٍ مشبوبةٍ : « أين اختفى هذا الأمين ؟ »
لكنهم علِموا بأنك فى الليـالى الداجيهْ
حملتكَ غِيلانُ الظلام إلى الجبـال النائيهْ
فنسُوكَ مثلَ الناس . . ، وانصرفوا إلى اللهو الجميل
بينَ الخمائلِ ، والجداولِ ، والروابى ، والسُّهول
ونسُوا وداعةَ وجهك الهادى ، ومنظرَكَ الوسيم
ونسُوا تغَنّيكَ الجميلَ بصوتكَ الحُلوِ ، الرخيمْ
ومضوْا إلى المَرْج البهيج ، يطاردون طيورَهُ
ويُزحزِحون صُخورَهُ ، ويعابثون زهـورَهُ
ويُشيّدون من الرمال البيضِ ، والحصَب النضيرْ
غُرَفًا ، وأكواخًا تـكلِّلُها الحَشائشُ والزهورْ
ويُنضّدون من الرُّبَا ، بين التضاحك والحبور

طافاتِ وردٍ آبدٍ ، تزرى بأوراد القصور

يُلقونها فى النهر ، قرباناً لآلهــة السرورْ

فتسير فى التيَّار ، راقصة على نَغَم الخرير

كلٌّ نسُوكَ ، ولم يعودوا يذكرونكَ فى الحياةْ

والدَّهر يدفنُ فى ظلام الموتِ حتى الذكريات

إلا فؤاداً ، ظلَّ يخفُقُ فى الوجود إلى لقاكْ

ويودُّ لو بذَلَ الحيـاة إلى المنيَّةِ ، وافتداكْ

فإذا رأى طفلاً بكاكَ ، وإنْ رأى شبحًا دعاكْ

يُصغى لصوتك فى الوجود ، ولا يرى إلاَّ بهاكْ

يصغى لنغمتك الجميلةِ فى خرير السـاقيهْ

فى رنَّةِ المزمارِ ، فى لَغْوِ الطيور الشاديهْ

فى ضجَّةِ البحر المُجلجِل ، فى هدير العاصفهْ

فى لجَّة الغابات ، فى صوت الرعود القاصفهْ

فى نُغيةَ الحَمَل الوديع ، وفى أناشيد الرعاةْ

بين المُروج الُخضرِ والسَّفْح المجلَّلِ بالنباتْ

فى آهة الشاكى ، وضوضاءِ الجُمُوعِ الصاخبهْ

فى شهْقة الباكى يؤَجِّجُهـا نُواحُ النادبهْ

فى كلِّ أصواتِ الوجودِ : طَروبِها وكئيبِها

ورخيمِها ، وعنيفِها ، وبغيضها ، وحبيبِها

ويراكِ في صُوَرِ الطبيعة : حلوِها ، ودميمِها
وحزينِها وبهيجِها ، وحقيرِها وعظيمِها
في رقةِ الفجرِ الوديعِ ، وفي الليالي الحالمهْ
في فتنةِ الشفقِ البديعِ ، وفي النجوم الباسمهْ
في رقْصِ أمواجِ البُحيْرة تحت أضواء النجومْ
في سِحْرِ أزهارِ الربيع ، وفي تهاويل الغيوم
في لمْعةِ البرق الخَفُوق ، وفي هُوِيِّ الصاعقهْ
في ذِلّة الوادي ، وفي كِبْر الجبال الشاهقهْ
في مَشهدِ الغابِ الكئيب ، وفي الورود[1] العاويهْ
في ظُلْمة اللّيلِ الحزين ، وفي الكهوف العاريهْ
أعَرفتَ هذا القلْبَ في ظلماءِ هاتيك اللحودْ ؟
هو قلبُ أمِّكَ ، أمِّكَ السَّكْرَى بأحزان الوجود
هو ذلك القلب الذي سيَعيشُ كالشّادي الضرير
يشدُو بشكْوَى حزنِه الداجي إلى النفَس الأخير
لا ربَّةُ النسيان ترحمُ حزنَه وترى شقاهْ
كلا ! ولا الأيّامُ تُبْلِي في أناملها أساه
إلا إذا ضفرَتْ له الأقدارُ إكليلَ الجنون
وغدا شقيًّا ضاحكاً ، تلهو بمرآه السنونْ
هو ذلكَ القلبُ الذي مهما تقلّبت الحياة
وتدفّعَ الزمَنُ المُدَمْدِمُ في شِعاب الكائناتْ

(١) الورود — جمع ورد : الأسد .

وتغنَّتْ الدُّنيا ، وغرَّدَ بلبلُ الغاب الجميلْ

سيظلُّ يعبُدُ ذكرياتِكَ : لا يَملُّ ، ولا يميلْ

كالأرض : تمشى فوق تُربتها المسرَّةَ ، والشبابْ

والليلُ ، والفجرُ المُجَنَّحُ ، والعواصفُ ، والسحابْ

والحُبُّ تَنبتُ فى مواطنِه الشقائقُ ، والورودْ

والموتُ تحْفَرُ — أينما يخطو — المقابرُ واللحـودْ

وتمرُّ بين فجـاجها اللّذات ، حالمةً ، تميدْ

سكرى ، وأشواقُ الورى ترنو إلى الأفُق البعيدْ ...

وتظلُّ ترقص للأسى ، لِلّهوِ ، أشباحُ الدهورْ

حتَّى يواريها ضبابُ الموتِ فى وادى الدُّثورْ

وتظلُّ تُورِقُ ، ثمَّ تُزْهِرُ ، ثمَّ ينشرها الصباحْ

للموتِ ، للشوْك المُمَزِّقِ ، للجداول ، للرياحْ

بسماتُ ثَغْرٍ ، حالمٍ ، يفترُّ فى سهْوِ السرورْ

وورودُ روْضٍ ، باسمٍ ، يُصغِى لألحان الطيورْ

وتظلُّ تخفقُ ، ثم تشْدُو ، ثم يطوِيها الترابْ

قُبَـلٌ ، وأطيارٌ ، تُغرِّدُ للحيـاةِ ، وللشبابْ

وتظلُّ تمشى فى جِوَارِ الموتِ أفراحُ الحياةْ ! . .

ويغرِّدُ الشـحرورُ ما بين الجماجم والرُّفاتْ

والأرضُ حالمةٌ : ، تغنِّي بين أسراب النجومْ

أنشودةَ الماضى البعيدِ .. ، وسُورةَ الأزَلِ القديمْ ...

حديث المقبرة

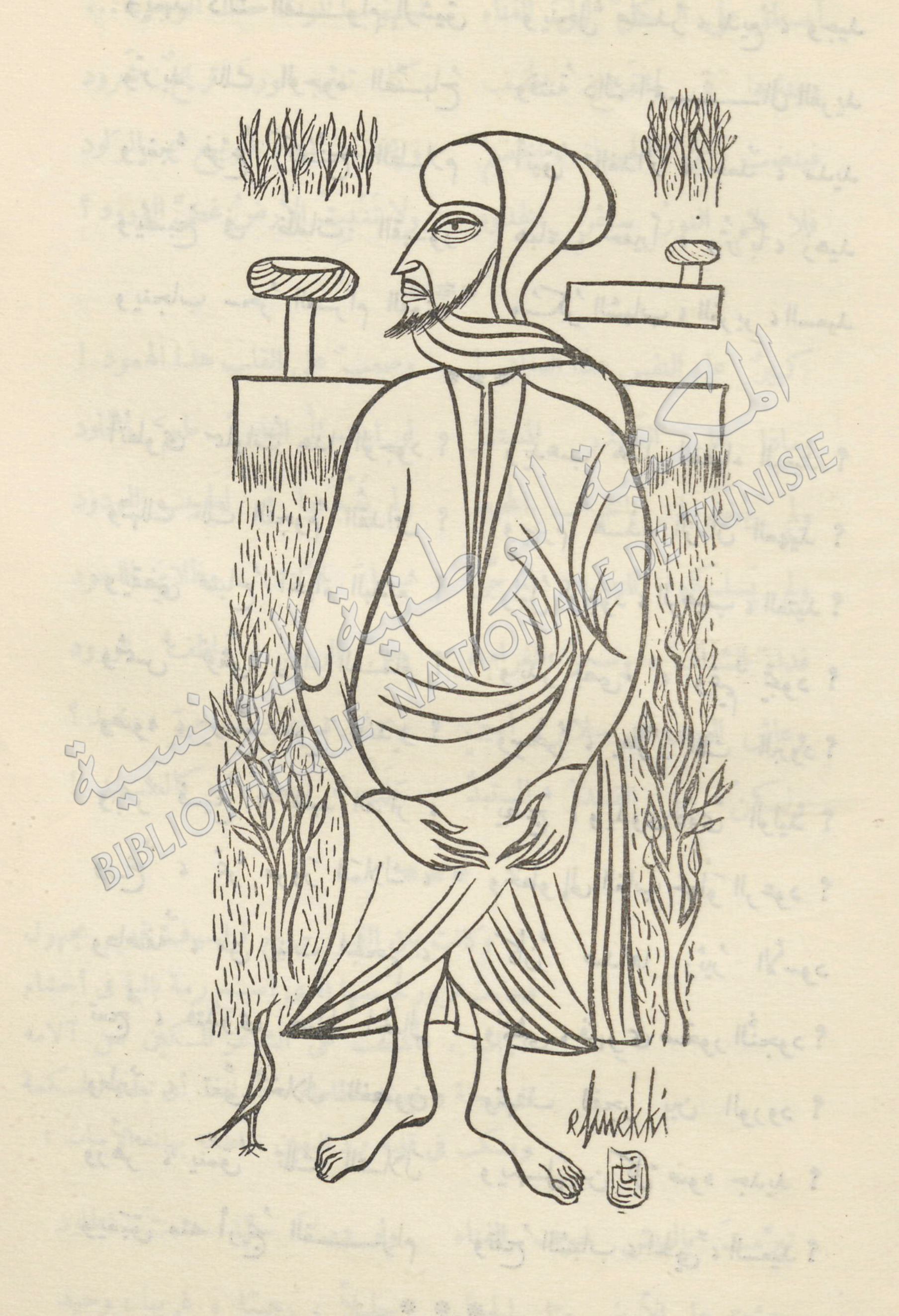
« وهو حوارٌ فلسفيٌّ ، مَدارُه الحياة »

« والموت ، والخلود والكمال »

فى ليلة مظلمة ، من ليالى الصيف ، خرج الشاعر بنفسه من القرية الصغيرة النائمة فى سفح الجبل ، وفى ذلك السكون الشامل ، والظلام المركوم ، أخذ يمشى بين أشجار الزيتون المزهرة فى مسلك منفرد ، ثم اعتلى تلك الربوة الصغيرة ، حيث كانت مدافن القرية وحيث ينام الموتى فى صمت الدهور .

وبين القبور الخرساء الجاثمة تحت أضواء النجوم ، حيث يتحدث كل شىء بجلال الموت وتفاهة الحياة ، جلسَ الشاعر بأقدام متعبة ، ونفس ثائرة ، وأجفان قد أذبلتها الأحزان ، فطافت بنفسه الأحلام والأفكار والذكريات ، وتقلبت أمامه صور الموت وأمواج الحياة ، وتتابعت أمامه رسوم الأيام الكثيرة ، مانام منها فى قلب الأزل ومالم يزل ينمو فى أحشاء الأبد الكبير ، وجاشت فى قلبه هاته العصور والخواطر ، وعجت فى صدره عجيج الأمواج الثائرة ، فألقاها إلى الليل فى النشيد التالى :

أتفنى ابتسامات تلك الجفون ؟ ويخبو توهُّجُ تلك الخدود ؟
وتذوِى وُرَيْداتُ تلك الشفاه ؟ وتهوى إلى الترب تلك النهود ؟


elmekki

وينهدُّ ذاكَ القــوامُ الرشيق وينحلُّ صــدرٌ ، بديعٌ ، وجيد

وتربد تلك الوجوه الصِّباحُ وفتنةُ ذاكَ الجمــــــال الفريد

ويغبرُّ فرْعٌ كجُنْحِ الظـلام أنيقُ الغدائر ، جعدٌ ، مديد

ويُصبحُ فى ظلمات القبـور هباءً ، حقيراً ، وتُرْباً ، زهيد

وينجاب سحرُ الغـزام القويِّ وسُكرُ الشباب ، الغريرِ ، السعيد

***

أتُطوَى سماواتُ هذا الوجود ؟ ويذهب هذا الفضاء البعيد ؟

وتهلكُ تلك النجومُ القُدامى ؟ ويهرم هـذا الزمان العهيد ؟

ويقضِي صباحُ الحياة البديعُ ؟ وليلُ الوجود ، الرهيب ، العتيد ؟

وشمسٌ توشّي رداءَ الغـمام ؟ وبدرٌ يضيءُ ، وغيمٌ يجود ؟

وضوءٌ ، يرصِّعُ موجَ الغدير ؟ وسِحْرٌ ، يطرِّزُ تلك البرود ؟

وبحرٌ فسيحٌ ، بعيد القرار ، يضجُّ ، ويدوى دوىَّ الوليد ؟

وريحٌ ، تمرُّ مرورَ الملاك ، وتخطو إلى الغاب خطْوَ الرعود ؟

وعاصفةٌ ، من بنات الجحيم ، كأنَّ صداها زئيرُ الأسود

تعجُّ ، فتدوِى حنايا الجبال وتمشى ، فتهوِى صخور النُّجود ؟

وطيرٌ ، تغنِّى خلال الغصون وتهتف للفجر بين الورود ؟

وزهرٌ ، ينمِّقُ تلك التلالَ ويــنهــلُ من كلِّ ضوءٍ جديد ؟

ويعبَق منه أريجُ الغــرام ونفحُ الشباب ، الحيِّ ، السعيد ؟

***

أيسطو على الكلّ ليلُ الفناء ليلهو بها الموتُ خلفَ الوجود...

وينثرها فى الفراغِ المخيف كما تنثر الوردَ ريحٌ شَرود

فينضب يمٌّ الحياة، الخضمُّ ويَخمد روحُ الربيع، الوَلود

فلا يلثم النورُ سِحْرَ الخدود ولا تُنْبِتُ الأرضُ غضّ الورود؟

***

كبيرٌ على النفس هذا العفاء! وصعبٌ على القلب هذا الهمود!

وماذا على القَدَر المستمرّ لو استمرأَ الناسُ طعمَ الخلود

ولم يُخْفَروا بالخراب المحيط ولم يُفْجَعوا فى الحبيب الودود

ولم يَسلكوا للخلود المرجّى سبيلَ الرّدى، وظلامَ اللحود

فدامَ الشبابُ، وسحرُ الغرام، وفنُّ الربيع، ولطفُ الورود

وعاش الورى فى سلامٍ، أمينٍ وعيشٍ، غضيرٍ، رخيٍّ، رغيد؟

ولكنْ هو القدرُ المستبدُّ يَلَذُّ له نوحُنا، كالنّشيد!

***

وكانت بين القبور روح فيلسوف قديم مجهول فجاءت تزور جسمها الذى أصبح رمة بالية فى أحشاء التراب، فأشفقت على الشاعر المسكين من آلامه الروحية وحيرته الظامئة، فأرادت أن تعلمه الحكمة وتسكب فى قلبه برد اليقين مخاطبته بهاته الأبيات:

تبرّمتَ بالعيش خوف الفناء ولو دمتَ حيًّا سئمتَ الخلود

وعشت على الأرض مثل الجبال جليلاً، رهيبًا، غريبا، وحيد

فلم ترتشف من رضاب الحياة ولم تصطبح من رحيق الوجود

ولم تدر ما فتنة الكائنات وما سحر ذاك الربيع الوليد

وما نشوة الحب عند المحبِّ وما صرخة القلب عند الصدود

ولم تفتكر بالغد المستراب ولم تحتفل بالمرام البعيد

وماذا يُرجَّى ربيب الخلود من الكونِ — وهو المقيم العهيد — ؟

وماذا يودُّ ، وماذا يخافُ من الكونِ — وهو المقيم الأبيد — ؟

تأمَّلْ . . فإنَّ نظام الحياة نظام ، دقيق ، بديع ، فريد

فما حبَّبَ العيش إلاَّ الفناء ولا زانَهُ غيرُ خوف اللحود

ولولا شقاء الحياة الأليم لما أدركَ الناسُ معنى السعود

ومن لم يرُعْه قطوبُ الدياجير لم يغتبطْ بالصباح الجديد

***

وراق حديث الروح الشاعر العائش بين الهواتف والأشباح . فقال يحاورها :

إذا لم يكن من لقاء المنايا مناصٌ لمن حلَّ هذا الوجود

فأيُّ غناء لهذى الحياة وهذا الصراع ، العنيف ، الشديد

وذاك الجمال الذى لا يُمَلُّ وتلك الأغانى ، وذاك النشيد ؟ ؟

وهذا الظلام ، وذاك الضياء وتلك النجوم ، وهذا الصعيد

لماذا نمر بوادى الزمان سِراعًا ، ولكننا لا نعود

فنشرب من كل نبعٍ شرابًا ومنه الرفيع ، ومنه الزهيد

ومنه اللذيذ ، ومنه الكريه ، ومنه المُشيد ، ومنه المُبيد
وتحمل عِبْئاً من الذكريات وتلك العهود التى لا تعود
ونشهد أشكال هذى الوجوه وفيها الشقى ، وفيها السعيد
وفيها البديع ، وفيها الشنيع ، وفيها الوديع ، وفيها العنيد
فيُصبح منها الولىُّ ، الحميم . ويصبح منها العدو ، الحَقُود
وكلٌّ — إذا ماسألنا الحياةَ — غريبٌ لعمرى بهذا الوجود
أتيناه من عالَمٍ ، لا نراه فُرادى ، فما شأنُ هذى الحُقود ؟
وما شأنُ هذا العداء العنيفِ ؟ وما شأن هذا الإخاء الودود ؟

***

روح الفيلسوف :

خلقنا لنبلغ شأو الكمال ونصبح أهلا لمجد الخلود
وتطهر أرواحنا فى الحياة بنار الأسى . . . . . . (١)
ونكسب من عثرات الطريق قُوًى ، لا تُهدّ بدأب الصعود
ومجداً ، يكون لنا فى الخلود أكاليلَ من رائعات الورود

***

ومر بالمقبرة سرب من الأرواح ، فى طريقها إلى العالم المجهول ؛ فطارت معها روح الفيلسوف ، وخلقت عالم الشك والكآبة لأبنائه البائسين . وظل الشاعر يردد بينه وبين نفسه :

« خلقنا لنبلغ شأوَ الكمال ونُصبح أهلاً لمجد الخلود »

---

(١) بياض بالأصل والمسودة .

ولكن أفكاره الثائرة التى لاتهدأ كانت لاتزال تلح عليه بالأسئلة الكثيرة المرهقة فقال يناجى روح الفيلسوف التى حسبها مازالت قريبة منه :

ولكن إذا مالبسنا الخلود ونلنا كمال النفوس البعيد
فهل لا نَمَلُّ دوام البقاء ؟ وهل لا نودُّ كمالا جديد
وكيفَ يكونُ هذا « الكمال » : ماذا تراه ؟ وكيف الحدود ؟
وإنَّ جمالَ « الكمال » « الطُّموحُ » ومادام « فكرًا » يُرَى من بعيد
فما سِحره إنْ غدا « واقعا » يُحَس ، وأصبح شيئا شهيد ؟
وهل ينطفى فى النفوس الحنين وتصبح أشواقنا فى خمود
فلا تطمح النفس فوق الكمال وفوق الخلود لبعض المزيد ؟
إذا لم يَزُل شوْقُها فى الخلود فذاك لعمرى شقاء الجدود
وحربٌ ، ضروس ، — كما قد عهدتُ —
ونصرٌ ، وكسرٌ ، وهمٌّ مديد
وإنْ زال عنها فذاك الفناء وإنْ كان فى عرَصَات الخلود

***

كذلك ناجى الشاعر روح الفيلسوف ، ولكنها كانت إذ ذاك بعيدة عنه فى عالم بعيد لا يسمع نجواه ، وكذلك ضاعت أسئلة الشاعر فى ظلمة الليل الذى لا يسمع ولا يجيب .

في ظلّ وادي الموت

نحن نمشي ، وحولنا هاته الأكوا

ن تمشي . . ، لكن لأيَّة غايهْ ؟

نحن نشـــــدو مع العصافير للشمس ،

وهـذا الربيـــــع ينفخ نايهْ

نحن نتلو رواية الكون للموت

ولكن ماذا ختـــــام الروايهْ

هكذا قلت للـــرياح فقالت :

« سل ضمير الوجود : كيف البدايهْ ؟ »

***

وتغشّى الضباب نفسي ، فصاحت

في مَلالٍ مُرٍّ : « إلى أين أمشي ؟ »

قلت : « سيري مع الحياة . . » فقالت :

« ماجنينا ، ترى ، من السيْر أمس ؟

فتهافتُ كالهشيم — على الأرض

وناديتُ : « أين ياقلب رفشي ؟ »

« هاتِه ، علني أخط ضريحي »

« في سكون الدجى وأدفن نفسي »

***

« هاتِه فالظلام حولي كثيف . . . »

« وضباب الأسى مُنِيخٌ عليّا . . . »

« وكؤوس الغرام أترعها الفجر ، »

« ولكن تحطمتْ في يديّا . . . »

« والشباب الغرير ولّى إلى الماضي »

« وخلّى النحيب في شفتيّا ، »

« هاته ، يافؤادُ إنا غريبان »

« نصوغ الحياة فنًّا شجيًّا . . . »

***

« قد رقصنا مع الحياة طويلا . . . »

« وشدونا مع الشباب سنينا . . . »

« وعدونا مع الليالي حُفاةً . . . »

« في شعاب الحياة حتى دمينا . . . »

« وأكلنا الترابَ حتّى مللنا . . . »

« وشربنا الدموعَ ، حتّى روينا . . . »

« ونثرنا الأحلامَ والحبَّ ، والآلامَ ... »

« واليأسَ ، والأسى ، حيث شِبنا ... »

***

« ثم ماذا ؟ هذا أنا : صرتُ فى الدنيا »

« بعيداً عن لهـــوها وغِناهـا »

« فى ظلام الفنـاء ، أدفن أيّـامى ، »

« ولا أستطيع حتى بكاها »

« وزهورُ الحيـاة تهوى ، بصمتٍ »

« مُحْزِنٍ ، مُضجرٍ ، على قدميّا ، »

« جَفّ سحر الحياة ، ياقلبىَ الباكى ، »

« فهيّـا ، نجرب الموت .. ، هيّـا .. ! »

السَّاحِرة

راعها منه صَمْتُه ووُجُومُهُ   وشجاها شُحوبُه وسُهومُهْ

فأمَرّتْ كفًا على شعره العارى   برفقٍ ، كأنها ستُنيمُهْ

وأطلّتْ بوجهها الباسم الحلو   على خدّه وقالتْ تلومُهْ :

« أيها الطائر الكئيبُ تغرّدْ   إنّ شَدْوَ الطيور حلوٌ رخيمُهْ »

« وأجِبْنِي فدتك نفسيَ ـ ماذا ؟   أمصابٌ ؟ أم ذاك أمرٌ ترومه ؟ »

« بل هو الفنُّ واكتئابه ، والفنّان   جمٌّ أحزانُه وهمومه »

« أبدًا يحمل الوجود بما فيه   كأنْ ليس للوجود زعيمُهْ : »

« خل عبء الحياة عنك ، وهيّا   بمحيّا ، كالصبح ، طلق أديمُهْ »

« فكثير عليك أن تحْملَ الدنيا   وتمشى بوقرها لا تريمه »

« والوجود العظيم أُقْعِدَ فى الماضى   وما أنت ربُّه فتقيمه »

« وامشِ فى روضة الشباب طروبًا   فحواليك وَرْدُه وكرومه »

« واتلُ للحب والحياة أغانيك   وخلِّ الشقاء تدْمَي كلومه »

« واحتضنّى ، فإننى لكَ ، حتى   يتوارى هذا الدجى ونجومه »

« ودع الحُبّ يُنشدُ الشعر لليل ،   فكم يُسكر الظلامَ رنيمُهْ ... »

« واقطف الورد من خدودى ، وجيدى ونهودى .. ، وافعل به ماترومه »

« إن لِلبيت لهوَه ، الناعمَ الحلوَ   ولِلكون حربُه وهمومُهْ »

« وارتشفْ من فمى الأناشيدَ سَكرَى ، فالهوى ساحرُ الدلالِ ، وَسِيمهُ »

« وانسَ فىَّ الحياةَ . . ، فالعمرُ قفرٌ ، مرعبٌ ، إنْ ذَوَى وجفَّ نسيمهُ »

« وارْمِ لليـل ، والضباب ، بعيدًا فَنَّكَ ، العابسَ ، الـكثيرَ وُجومه »

« فالهوى ، والشبابُ ، والمرح المعـ ـسولُ تشـدو أفنانُه ونسيمه »

« هى فنُّ الحياة ، ياشاعرى الفنّانَ بل لُبُّ فنِّهـا وصميمُهْ »

« تلك يافيلسوفُ ، فلسفة الـكَوْ ن ، ووحْىُ الوجودِ هذا قديمه »

« وهى إنجيلكَ الجميلُ ، فصـدِّقْه وإلاَّ . . ، فلِلْغرام جحيمه . . »

فرماهـا بنظرة ، غَشَـيَتْها سكرةُ الحُبِّ ، والأسى وغيومُهْ

وتلاها ببسمة ، رشـفتها منه سكرانةً الشباب ، رؤومُهْ

والتقتْ عندها الشفاهُ . . ، وغنّتْ قُبَـلٌ ، أجفلت لديها همومُهْ

ماتريد الهمومُ من عالَمٍ ، ضاعت مسرّاتُه ، وغنّتْ نجـومُهْ ؟

***

ليـلةٌ أسبلَ الغـرامُ عليهـا سحرَه ، الناعمَ الطريرَ نعيمُهْ

وتَغنَّى فى ظلّها الفرَحُ اللاهى فجفَّ الأسى وخرَّ هشـيمُهْ

أغرق الفيلسوفُ فلسفة الأحـ ـزان فى بحرها . . ، فَمَنْـذا يلومُهْ

***

إن فى المرأةِ الجميـلةِ سـحرًا عبقريًا ، يُذْكى الأسى ، ويُنيمُهْ

قال قلبي للإله

في جبال الهموم ، أنبتُّ أغصاني فرفتْ بين الصخور بجَهْد
وتغشَّاني الضبابُ .. ، فأورقتُ وأزهرتُ للعواصف ، وحدي
وتمايلتُ في الظلام ، وعطّرتُ فضاء الأسى بأنفاس وردي
وبمجد الحياة ، والشوقِ غنّيْتُ .. ، فلم تفهم الأعاصيرُ قصدي
ورمَتْ للوهاد أفناني الخُضْرَ ، وظلّتْ في الثلج تحفر لحدي
ومضتْ بالشذى فقلت : « ستبني في مروج السماء بالعِطْر مجْدي »
وتغزَّلْتُ بالربيع ، وبالفجر فماذا ستفعل الريح بعدي ؟

متلعب العظمة

إذا صغرت نفسُ الفتى كان شوقه صغيراً ، فلم يتعب ، ولم يتجشمِ
ومن كان جبَّارَ المطامع لم يزَلْ يلاقي من الدنيا ضراوةَ قَشعم

الجنّة الضّائعة

كَمْ من عُهودٍ عذبةٍ فى عَدْوَةِ الوادى النضيرْ
فِضِّيةِ الأسحار مُذْهَبَةِ الأصائل والبكور
كانت أرقَّ من الزهور ، ومن أغاريد الطيور
وألذَّ من سحر الصِّبا فى بَسْمَة الطفل الغرير
قضيتها ومعى الحبيبةُ لا رقيب ولا نذير
إلاّ الطفولة حولنا تلهو مع الحُبِّ الصَّغير
أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطير
وطهارةُ الموج الجميل ، وسِحْرُ شاطئه المنير
ووداعة العصفور ، بين جداول الماء النمير
أيامَ لم تعرف من الدُّنيا سوى مَرَحِ السُّرور
وتَتَبُّعِ النَّحْل الأنيقِ وقَطْفِ تيجانِ الزهور
وتسلُّقِ الجبلِ المكلل بالصَّنَوْبَر والصخور
وبناءِ أكواخ الطفولة تحت أعشاش الطيور
مسقوفةً بالورد ، والأعشاب ، والورق النضير
نبنى ، فتهدمها الرياحُ ، فلا نضجُّ ولا نثور
ونعود نضحك للمروج ، وللزَّنابقِ ، والغدير

ونخاطب الأصداء ، وهى ترفُّ فى الوادى المنير

ونعيد أغنيـة السواقى ، وهى تلغو بالخرير

ونَظَلُّ نركض خلف أسراب الفَرَاش المستطير

ونمرُّ ما بين المروج الخضر ، فى سكر الشعور

نشدو ، ونرقصُ — كالبلابلِ — للحياة ، وللحبور

ونظل ننثرُ للفضـاء الرَّحْبِ ، والنهرِ الـكبير

ما فى فؤادينا من الأحلام ، أو حُلْوِ الغرور

ونَشِيدُ فى الأُفُق المخضَّب من أمانينا قصور

أزهى من الشفَقِ الجميل ، ورونَقِ المرج النضير

وأجلَّ من هذا الوجود ، وكلِّ أمجاد الدهور

أبداً ، تُدَلِّلُنا الحياةُ بكلِّ أنواع السرور

وتبثُّ فينا من مراح الـكون ما يُغوى الوقور

فنسيرُ ، نَنْشُد لهوَنا المعبودَ — فى كل الأمور

ونظل نعبث بالجليل من الوجود ، وبالحقير :

بالسائل الأعمى ، وبالمعتوهِ ، والشيخِ الـكبير

بالقطة البيضاءِ ، بالشاة الوديعة ، بالحمير

بالعشب ، بالفنن المنوّر ، بالسنابل ، بالسَّفير

بالرملِ ، بالصخر المحطَّم بالجداول ، بالغدير

واللهوُ ، والعبَثُ البرىءُ ، الحلوُ ، مطمحُنا الأخير

ونظل نقفز ، أو نُثَرْثِرُ ، أو نغنى ، أو ندور

لا نسأم اللهوَ الجميلَ ، وليس يدركنا الفتور

فكأننا نحيا بأعصاب من المرَح المُثِير

وكأننا نمشى بأقدام مجنَّحة ، تطير

أيام كنا لُبَّ هذا الكون ، والباقى قشور

أيام تفرشُ سُبْلَنا الدنيا بأوراق الزهور

وتمرُّ أيامُ الحياة بنا ، كأسراب الطُّيور

بيضاء لاعبةً ، مُغرِّدةً مجنَّحةً بنور

وتُرَفْرِف الأفراحُ فوق رؤوسنا أنَّى نسير

***

آهٍ ! توارى فَجْرِىَ القدُسىُّ فى ليل الدهور

وفنى ، كما يفنَى النشيدُ الحلوُ فى صمت الأثير

أوّاهُ ، قد ضاعت على سعادةُ القلب الغرير

وبقيتُ فى وادى الزمان الجَهْمِ أدْأَبُ فى المسير

وأدوسُ أشواكَ الحياة بقلبىَ الدّامى الكسير

وأرى الأباطيل الكثيرةَ ، والمآثم ، والشرور

وتصادُمَ الأهواء بالأهواء فى كل الأمور

ومذَلَّةَ الحقِّ الضعيف ، وعزَّةَ الظلم القدير !

وأرى ابنَ آدَمَ سائراً فى رحْلَةِ العُمْرِ القصير

مابينَ أهوال الوجودِ ، وَتحتَ أعباء الضَّمير
متسلِّقاً جَبَلَ الحياةِ الوعْرَ ، كالشَّيْخ الضَّرير
دامى الأ كُفِّ ، مُمَزَّقَ الأقْدَامِ ، مُغْبرَّ الشعور
مُترنِّح الخطواتِ مابين المزالق والصُّخور
هالتْهُ أشْباحُ الظلامِ ، وراعهُ صوتُ القبور
ودوىُّ إعْصار الأسى ، والموت ، فى تلك الوُعورْ

***

ماذا جنَيْتُ من الحياة ومن تجاريب الدُّهور
غيرَ الندامةِ والأسى واليأسِ والدمع الغزير ؟
هذا حَصادى من حقول العالَمِ الرَّحْبِ الخطير
هذا حَصادى كلُّهُ ، فى يقظة العَهْدِ الأخير

***

قد كنتُ فى زمنِ الطفولةِ ، والسذاجةِ ، والطهور
أحْيا كما تحيا البلابلُ ، والجداولُ ، والزُّهور
لا نحفل ، الدنيا تدور بأهلها ، أو لا تدور
واليومَ أحْيا مُرْهَقَ الأعْصاب ، مشبوبَ الشعور
مُتأجِّجَ الإحساسِ ، أحفلُ بالعظيم ، وبالحقير
تمشى على قلبى الحياةُ ، ويزحَفُ الكونُ الكبير
هذا مصيرى ، يابنى ، فما أشقى المصير !

السَّعادة

ترجو السعادةَ ياقلبي ولو وُجِدتْ في الكونِ لم يشتعلْ حُزْنٌ ولا ألَمُ

ولا استحالتْ حياةُ الناسِ أجمعُها وزُلزلتْ هاتِه الأكوانُ والنُّظمُ

فما السعادة في الدُّنيا سوى حُلُمٍ ناءٍ تُضحِّي له أيَّامها الأممُ

ناجتْ به الناسَ أوهامٌ مُعَرْبدةٌ لمَّا تَغشَّتْهُمُ الأحلامُ والظُّلَمُ

فَهبَّ كلٌّ يُناديهِ ويَنْشُدُهُ كأنَّما الناسُ ماناموا ولا حَلُمُوا(1)

***

خُذ الحياةَ كما جاءتك مبتسماً في كفِّها الغارُ أو في كفِّها العدم

وارقصْ على الوَردِ والأشواكِ مُتَّئِدًا غنَّتْ لكَ الطيرُ، أو غنَّتْ لكَ الرُّجُمُ

واعملْ كما تأمرُ الدُّنيا بلا مَضَضٍ والجِمْ شعورَكَ فيها، إنها صَنَمُ

فَمَنْ تألَّم لم تَرْحَمْ مضاضتَهُ ومَنْ تجلَّدَ لم تَهزأْ به القِمَمُ

هذي سعادةُ دُنيانا، فكن رجلاً إن شئتَها — أبدَ الآبادِ — يبتسم!

وإنْ أردتَ قضاءَ العيش في دَعَةٍ شِعْرِيَّةٍ لا يُغَشِّي صَفْوَها ندم

فاتْرُكْ إلى الناس دُنياهم وضجَّتَهُمْ وما بنَوْا لنظام العَيْش أو رَسَمُوا

واجعلْ حياتكَ دَوْحًا مُزْهِرًا نضِرًا في عزلة الغابِ يَنمو ثم يَنعدِمُ

واجعل لياليك أحلامًا مُغرِّدةً إنَّ الحياةَ وما تَدْوِي به حُلُمُ!

---

(1) حلم: كان ذا حلم، أي ذا عقل.

مِنْ أغَانِي الرُّعَاة

حل الشاعر صيفا بعين دراهم « من الشمال التونسى » مستشفيا . وهناك فوق الطبيعة العذراء الساحرة والغابات الملتفة الهائلة ، والجبال الشم المجللة بالسنديان قضى عهدا شعريا ، وادعا ، خالصا للشعر ، والسحر والأحلام . وفي القصيد التالي صورة صغيرة من صور الحياة بين تلك الجبال ، والأودية والغابات .

أقبلَ الصُّبْحُ يُغنِّي للحياةِ الناعســـهْ
والرُّبى تحلمُ فى ظلِّ الغصونِ المائسهْ
والصَّبا تُرقص أوراقَ الزهور اليابســهْ
وتَهادَى النُّورُ فى تلكَ الفِجاج الدامسه

***

أقبلَ الصبحُ جميلاً ، يملأُ الأفقَ بهاهْ
فتمطَّى الزهرُ ، والطيْرُ ، وأمواجُ المياهْ
قد أفاقَ العالمُ الحيُّ ، وغنَّى للحيـاهْ
فأفيقى ياخِـرافى ، وهلمِّي ياشِـياهْ

***

واتبعينى ياشِياهى ، بين أسراب الطيورْ
واملأى الوادى ثُغاءً ، ومِراحا وحبورْ

واسمعى همس السواقى ، وانشقى عطرَ الزهورْ
وانظرى الوادى ، يغشّيه الضبابُ المستنيرْ

***

واقطفى من كلإِ الأرض ، ومرعاها الجديدْ
واسمعى شبّابتى تشدو ، بمعسول النشيدْ
نَغَمٌ يَصْعَدُ مِنْ قلبى ، كأنفاسِ الورودْ
ثم يسمو طائراً ، كالبلبلِ الشادى السعيدْ

***

وإذا جئْنا إلى الغابِ ، وغطّانا الشجرْ
فاقطفى ماشئتِ من عُشْبٍ ، وزَهْرٍ وثمرْ
أرْضَعَتْهُ الشّمْسُ بالضوءِ ، وغذّاهُ القمرْ
وارتوَى من قَطَراتِ الطَّلِّ ، فى وَقْتِ السَّحَرْ

***

وامْرَحِى ماشئتِ فى الوديان ، أو فوقَ التلالْ
واربضى فى ظلها الوارف ، إنْ خِفتِ الكلالْ
وامْضغى الأعشابَ ، والأفكار فى صمت الظلالْ
واسمعى الريحَ تُغَنّى ، فى شماريخِ الجبالْ

***

إن فى الغاب أزاهيرًا ، وأعشاباً عِذابْ

يُنشِدُ النحْلُ حواليْها ، أهازيجاً طِرابْ

لم تُدَنِّسْ عِطرَها الطاهرَ أنفاسُ الذئابْ

لا ، ولا طَافَ بها الثعلبُ فى بعضِ الصِّحابْ !

***

وشذًا حلوًا ، وسِحْرًا ، وسَلاماً ، وظِلالْ

ونَسيماً ساحِرَ الخطوةِ ، موفورَ الدلالْ

وغصونا يرقُصُ النورُ عليها ، والجمالْ

واخضرارًا أبديًّا ، ليس تمْحُوه الليالْ

***

لن تَمَلِّى ، ياخرافى ، فى حمى الغاب الظليل

فزمانُ الغاب طفلٌ ، لاعبٌ ، عذبٌ ، جميل

وزمانُ الناس شَيْخٌ ، عابسُ الوجه ، ثقيل

يتمشّى فى ملال ، فوق هاتيك السهول

***

لكِ فى الغابات مرعاكِ ، ومسعاكِ الجميلْ

ولىَ الإنشادُ ، والعزف إلى وقت الأصيل

فإذا طالتْ ظِلالُ الكَلإِ ، الغضِّ ، الضئيل

فهلمى نرجع المسعى إلى الحىِّ النبيل

أيتها الحالمة بين العواصف

أنتِ كالزهرةِ الجميلةِ فى الغاب ، ولـكن ما بين شوكٍ ، ودود
والرياحينُ تحسب الحسكَ الشرّير والدودَ من صنوف الورود
فافهمى الناس . . ، إنما الناسُ خَلْقٌ مفسدٌ فى الوجود ، غيرُ رشيدُ
والسعيد السعيدُ من عاش كالليل غريبًا فى أهل هـذا الوجود
ودعيهم يحيَوْنَ فى ظلمة الإثمِ وعيشى فى طهـــرك المحمود
كالملاك البرىءِ ، كالوردة البيضاء ، كالموج ، فى الخضمِّ البعيـد
كأغانى الطيور ، كالشفق الساحر كالـكوكب البعيد الســعيد
كثلوج الجبال ، يغمرُها النـور وتسمو على غبار الصــعيد
أنتِ تحت السماء روحٌ جميـلٌ صاغه اللهُ من عبير الورود
و بنو الأرض كالقرود ، وما أضْـيَعَ عِطرَ الورود بين القرود !
أنت من ريشة الإله ، فلا تُلْـقِى بفنٍّ السما لجهل العبيـد
أنت لم تخلقى ليقْرُبَكِ الناسُ ولـكن لتُعْبَدى من بعيد . . .

الأبدُ الصغير

يا قلبُ ! كم فيكَ من دُنيا محجَّبَةٍ كأنَّها ، حين يبدو فجرُها « إرَمُ »[1]

يا قلبُ ! كمْ فيكَ من كونٍ ، قد اتقدتْ فيه الشُّموسُ وعاشتْ فوقهُ الأممُ

يا قلبُ ! كمْ فيكَ من أفقٍ تُنمِّقُه كواكبٌ تتجلَّى ، ثُمَّ تنعدِمُ

يا قلبُ ! كمْ فيكَ من قبرٍ ، قد انطفأَتْ فيه الحيـاةُ ، وضجَّتْ تحتهُ الرِّمَمُ

يا قلبُ ! كمْ فيكَ من غابٍ ومن جبَلٍ تَدوِى به الريحُ أو تسمو به القِممُ

يا قلبُ ! كمْ فيكَ من كهفٍ قد انبجستْ منه الجـداولُ تجرى مالها لُجُمُ

تمشى .. ، فتحملُ غُصنًا مُزهِرًا نضرًا أوْ وَرْدَةً لمْ تَشَوَّهْ حُسنَها قَدَمُ

أو نَحلةً جرَّها التيَّـارُ مندَفِعًا إلى البحارِ ، تُغنى فوقها الدِّيَمُ

أو طائرًا ساحرًا مَيْتًا قد انفجرتْ فى مُقلتَيهِ جـراحٌ جمَّـةٌ ودمُ

يا قلبُ ! إنك كونٌ ، مُدْهِشٌ عَجَبٌ إنْ يُسْأل الناسُ عن آفاقه يَجِمُوا

كأنك الأبدُ المجهولُ .. ، قد عجزَتْ عنكَ النُّهى ، واكفهرَّتْ حولكَ الظُّلَمُ

***

يا قلبُ ! كمْ من مسرَّاتٍ وأخيِـلة ولذَّة ، يتَحَـامَى ظِلَّهـا الألمُ

غنَّتْ لفجرِكَ صوتًا حالمًا ، فرِحًا نَشْوانَ ثم توارتْ ، وانقضى النَّغمُ

---

(١) إرم : مدينة أسطورية أحاطتها الخرافات بجو خيالى مسحور ، فزعمت أنها بنيت على صفة الجنة : أرضها من مسك وقصورها من خالص الذهب واللؤلؤ والمرجان ، وسماؤها من سحر مرصع بالأحلام .. ، وأنها لازالت إلى يومنا هذا فى صحراء العرب ، ولكنها محجوبة لايراها أحد ...

وكم رأى لَيْلُكَ الأشباحَ هائمةً　　مذعورة تتهاوى حولها الرُّجُمُ

ورَفْرَفَ الألمُ الدَّامى ، بأجنحةٍ　　من اللهيب ، وأنَّ الحزنُ والنَّدَمُ

وكمْ مشتْ فوقك الدُّنيا بأجمعها　　حتَّى توارتْ ، وسار الموتُ والعدمُ

وشيِّدَتْ حولك الأيامُ أبنيةً　　من الأناشيدِ تُبْنَى ، ثم تنهدِمُ

* * *

تمضي الحياة بماضيها ، وحاضرِها　　وتذهَبُ الشمسُ والشُّطآنُ والقممُ

وأنتَ ، أنتَ الخضمُّ الرحْبُ ، لا فرحٌ　　يَبْقَى على سطحكَ الطَّاغى ، ولا ألَمُ

* * *

يا قلبُ كم قد تملَّيْتَ الحياةَ ، وكمْ　　رقَّصتها مَرِحًا ، ما مسَّكَ السَّأمُ

وكمْ توشَّحْتَ من ليلٍ ومن شَفَقٍ　　ومن صباحٍ تُوَشِّى ذَيْلَهُ السُّدُمُ

وكم نسجْتَ من الأحلام أرديةً　　قد مزَّقتها الليالى ، وهْىَ تبتسِمُ

وكم ضَفَرْتَ أكاليلاً مُورَّدَةً　　طارتْ بها زَعْزَعٌ تدوِى وتحتَدِمُ

وكمْ رسمتَ رسومًا ، لا تُشابهها　　هذى العوالمُ ، والأحلامُ ، والنظُمُ

كأنها ظُلَلُ الفِرْدَوْسِ ، حافلةً　　بالحورِ ، ثم تلاشَتْ ، واختفى الحُلُمُ

* * *

تبلُو الحيـــاةَ فتبْلِيها وتَخلعها　　وتستجدُّ حياةً ، ما لها قِدم

وأنتَ أنتَ شبابٌ خالدٌ ، نضِرٌ　　مثل الطبيعة : لا شيبٌ ولا هرَم

صوتٌ من السماء

فى الليل ناديتُ الكواكب ساخطاً   متأجِّجَ الآلام والآراب :

« الحقلُ يملكه جبابرةُ الدجى   والروض يسكنه بنو الأرباب »

« والنهر ، للغول المقدّسة التى   لا ترتوى . والغاب للحطّاب »

« وعرائس الغاب الجميل ، هزيلةٌ   ظمآى لكل جَنًى ، وكل شراب »

« ماهذه الدنيا الكريهةُ ؟ ويلها !   حَقَّتْ عليها لعنة الأحقاب ! »

« الكونُ مُصْغٍ ، يا كواكبُ ، خاشعٌ   طال انتظارى ، فانطقى بجواب ! »

***

فسمعتُ صوتاً ساحراً ، متموِّجاً   فوق المروج الفيحِ ، والأعشاب

وحفيفَ أجنحةٍ ترفرف فى الفضا   وصدًى يَرِنُّ على سكون الغاب : »

« الفجرُ يولدُ باسماً ، مُتهَلِّلاً   فى الكونِ ، بين دُجُنَّةٍ وضباب »

الصَّباحُ الجديدُ

أُسكني يا جراحْ واسكني ياشجونْ
ماتَ عهد النُّواحْ وزمانُ الجنونْ
وأطلَّ الصَّباحْ مِنْ وراء القرونْ

* * *

في فجاجِ الرَّدى قد دفنت الألَمْ
ونثرتُ الدُّموعْ لرياحِ العَدَمْ
واتخذتُ الحياةْ معِزفًا للنغمْ
أتغنَّى عليه في رحاب الزمانْ

* * *

وأذبتُ الأسى في جمال الوجودْ
ودحوت الفؤادْ واحةً للنشيدْ
والضيا والظلالْ والشّذى والورودْ
والهوى والشبابْ والمُنى والحنانْ

* * *

اسكنى ياجراحْ واسكتى ياشجون

مات عهدُ النوحْ وزمانُ الجنونْ

وأطلّ الصباحْ من وراء القُرونْ

* * *

فى فؤادى الرحيبْ معبدٌ للجمالْ

شيّدته الحياةْ بالرُّؤى ، والخيالْ

فتلوتُ الصلاة فى خشوع الظلال ...

وحرقت البخور وأضأتُ الشموعْ ...

* * *

إن سِحْرَ الحياه خالدٌ لا يزولْ

فعلام الشكاهْ من ظلامٍ يحول

ثمّ يأتى الصباح وتمُر الفصول .. ؟

سوف يأتى ربيعْ إنْ تقضّى ربيع

* * *



اسكنى يا جراحْ واسكتى يا شجونْ

مات عهدُ النواح وزمانُ الجنون

وأطلّ الصباح من وراء القرون

* * *

من وراء الظلامْ وهديرِ الميـــاهْ

قد دعانى الصباح وربيعُ الحيـــــاه

ياله من دُعَاء هزَّ قلبِى صداه !

لَمْ يَعُدْ لى بَقاء فوق هــذى البقاع

***

الوَداعَ ! الوَداعَ ! يا جبــالَ الهمــومْ

يا ضبابَ الأسى ! يا فجاجَ الجحيم !

قد جـرى زورقى فى الخضمِّ العظيم . . .

ونشرتُ القلاعْ . . . فالوَداعَ ! الوَداعَ !

ذكرى صباح

قدّس الله ذكره من صباحٍ ساحرٍ ، في ظِلال غاب جميل

كان فيه النسيم ، يرقص سكرانًا على الورد ، والنبات البليـل

وضَباب الجبال ، ينساب في رفقٍ بديـعٍ ، على مروج السهول

وأغاني الرعاةِ ، تخفقُ في الأغوارِ والسهلِ ، والربا ، والتـلول

ورحابُ الفضاء ، تعبق بالألحان والعطرِ ، والضيـاء الجميل

والمَلاكُ الجميلُ ، ما بين ريحانٍ وعُشْبٍ ، وسِنديانٍ ، ظَليل

يتغنّى مع العصافير ، في الغاب ويرنو إلى الضباب الـكسول

وشـعور الملاك ترقص بالأزهار والضوء ، والنسيم ، والعليل

***

حُـلمٌ ساحرٌ ، به حلمَ الغابُ فواهًا لحلمه المعسـول !

مثل رؤيا تلوح للشاعر الفنّان في نشـوة الخيال الجميل

قد تمليّتُ سِحرَهُ في أناةٍ وحنانٍ ، ولَذةٍ ، وذهول

ثم ناديتُ ، حينما طفح السِّحر بأرجاء قلبيَ المتبـول

يا شعورٌ تميد في الغاب بالر يحان ، والنور ، والنسيم البليل

كبِّليني بهاته الخُصَلِ المُرْخاةِ في فتنـةِ الدّلال الملول

كبلي ياسلاسلَ الحبِّ أفكا رِي ، وأحلامَ قلبيَ الضِّلّيل

كبّلينى بكل مافيكِ من عِطْرٍ وسحرٍ مقدّسٍ ، مجهول

كبّلينى ، فإنما يُصبح الفنّان حرًّا ، فى مثل هذى الكبول

* * *

ليت شعرى ! كم بين أمواجِكِ السودِ ، وطيّاتِ ليلِكِ المسدول

من غرامٍ ، مُذهّبِ التاج ، ميْتٍ وفؤادٍ ، مُصَفّدٍ ، مغلول

وزهور من الأمانىّ تذوى فى شحوبٍ ، وخيبةٍ ، وخمول

أنتِ لا تعلمين . . ، والليلُ لا يعلم كم فى ظلامِه من قتيل

أنتِ أرجوحةُ النسيم فميلى بالنسيم السعيدِ كلَّ مَميل

والبثى للورودِ والظلّ ، والأضواء فى عُرْيِكِ ، الجميلِ ، النبيل

ودَعِى الشمسَ والسماءَ تسوِّى لكِ تاجًا ، من الضياء الجميل

ودعى مُزْهِرَ الغصونِ يغشّيكِ بأوراق وَرْدِه المطلول

* * *

للشعاع الجميلِ أنتِ ، وللأنسامِ ، والزهرِ ، فالصبى ، وأصيلى

ودعى للشقىِّ أشواقَه الظمْأى وأوهامَ ذِهْنِه المعلول

ياعروسَ الجبالِ ، ياوردةَ الآمالِ ، يافتنةَ الوجودِ الجليل

ليتنى كنتُ زهرةً ، تتثنّى بين طيات شَعْرِكِ المصقول !

أو فراشًا ، أحومُ حولكِ مسحورًا غريقًا ، فى نشوتى ، وذهولى !

أو غصونًا ، أحنو عليكِ بأوراقى حُنُوَّ المُدلّهِ ، المتبول !

أو نسيمًا ، أضمُّ صدرَكِ فى رِفقٍ ، إلى صدْرِىَ ، الخفوقِ ، النحيل

آهِ ! كم يُسْعِدُ الجمالُ ، ويُشْقِى من قلوبٍ شِعْرِيَّةٍ ، وعقول . . .

الروايةُ الغريبة

ضحكنا على الماضى البعيد ، وفى غدٍ
ستجعلنا الأيامُ أضحوكةَ الآتى

وتلك هى الدنيا ، رواية ساحرٍ
عظيمٍ ، غريب الفنِّ ، مبدع آيات

يمثلها الأحياء فى مسرح الأسى
ووسْط ضباب الهمِّ ، تمثيلَ أموات

ليشهدَ مِن خلف الضباب فصولَها
ويضحكَ منها — مَن يمثِّل مايأتى

وكلٌّ يؤدِّى دَوْرَهُ . . . ، وهو ضاحكٌ
على الغير ، مضحوكٌ على دوره العاتى

ألحاني السّكرى

قد سكرنا بحبنا واكتفينا يامديرَ الكؤوسِ فاصرفْ كؤوسَكْ
واسكبْ الخمرَ للعصافيرِ والنحلِ وخلِّ الثرى يَضُم عروسَكْ

***

مالنا والكؤوس ، نطلب منها نشوةً والغرامُ سحرٌ وسُكرُ !
خَلِّنا منك ، فالربيع لنا ساقٍ وهذا الفضاء كاسٌ وخمر !

***

نحن نحيا كالطير ، فى الأفق الساجى وكالنحل ، فوق غضِّ الزهور
لا ترى غيرَ فتنةِ العالم الحىِّ وأحلامِ قلبها المسحورِ . . .

***

نحن نلهو تحتَ الظلالِ ، كطفلين سعيدين ، فى غُرورِ الطفولهْ
وعلى الصخرةِ الجميلةِ فى الوادى وبين المخاوفِ المجهولهْ

***

نحن نغدو بين المروج ونُمسى ونغنِّى مع النسيم المغنِّى
ونناجى روحَ الطبيعةِ فى الكون ونُصغى لقلبها المتغنّى

***

نحن مثل الربيع : نمشى على أرضٍ من الزهر ، والرؤى ، والخيال
فوقها يرقص الغرام ، ويلهو ويغنِّى فى نشوةٍ ودلالِ

***

نحن نحيا فى جنة من جِنان السحر فى عالمٍ بعيدٍ . . . ، بعيدٍ . . . ،
نحن فى عُشِّـنا المُورَّدِ ، نتلو سُـورَ الحبِّ للشَّبابِ السعيدِ

***

قد تركنا الوجودَ للناس ، فليقـ ـضُوا الحياةَ كيف أرادوا
وذهبنا بلبِّـه ، وهو روحٌ وتركنا القشـورَ ، وهى جَمادُ

***

قد سكرنا بحبنا ، واكتفينا طَفحَ الكأسُ ، فاذهبوا ياسُقاةُ
نحن نحيا فلا نريد مزيداً حسبنا مامنحتِنا ياحيـاةُ

***

حسـبنا زهرُنا الذى نتنشّى حسْبنا كأسُنا التى نترشَّـفْ
إنَّ فى ثغرنا رحيقاً سماويًّا وفى قلبنا ربيعًا مفـوَّفْ

***

أيها الدهـر ، أيها الزمن الجارى إلى غير وُجهةٍ وقـرار !
أيها الكون ! أيها الفلك الدَّوّار بالفجـر ، والدجى ، والنهار !

***

أيها الموت ! أيها القدر الأعمى ! قِفُوا حيث أنتمُ ! أو فسيروا
ودعونا هنا : تغَنِّي لنا الأحلامُ والحبُّ ، والوجـودُ ، الكبيرُ

***

وإذا ماأبَيْتُمُ ، فاحملونا ولهيبُ الغرام فى شفتيْنَا
وزهـورُ الحياة ، تعبقُ بالعطر وبالسحر ، والصِّبا فى يدينَا

إرادة الحياة

إذا الشعبُ يوما أراد الحياة فلا بدَّ أن يستجيب القدرْ
ولا بد لليل أن ينجلى ولا بدَّ للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقْه شوْقُ الحياة تبخَّرَ فى جوِّها ، واندثر
فويل لمن لم تَشُقْهُ الحياةُ من صفْعة العدَم المنتصر
كذلك قالت لىَ الكائناتُ وحدَّثنى روحُها المستتر

* * *

ودمدمت الرِّيحُ بين الفجاج وفوق الجبال وتحت الشجر :
« إذا ما طمحتُ إلى غايةٍ ركبتُ المُنى ، ونسيتُ الحذر »
« ولم أتجنَّب وعورَ الشِّعاب ولا كُبَّةَ اللَّهب المستعر »
« ومن لا يحبُّ صعودَ الجبال يعشْ أبدَ الدهر بين الحُفَر »
فعجَّتْ بقلبى دماء الشباب وضجَّت بصدرِى رياحٌ أُخَر ...
وأطرقتُ ، أصغى لقصف الرعود وعزف الرياح ، ووقع المطر

* * *

وقالت لىَ الأرض ـ لما سألت : « أيا أمُّ هل تكرهين البشر ؟ » :
« أبارك فى الناس أهلَ الطموح ومن يستلذُّ ركوبَ الخطر »
« وألعنُ من لا يماشى الزمانَ ، ويقنع بالعيْش عيشَ الحجَر »

« هو الـكون حىٌّ ، يحبُّ الحياة ويحتقر المَيْتَ ، مهما كَبُرْ »
« فلا الأفقُ يحضُن ميْتَ الطيورِ ، ولا النحلُ يلثِمُ ميْتَ الزهر »
« ولولا أمُومةُ قلبِى الرَّؤوم لمَا ضمَّتْ المَيْتَ تلك الحُفَر »
« فويلٌ لمن لم تشُقه الحياة ، مِنْ لعنة العـــدم المنتصر ! »

* * *

وفى ليـــلة من لِيالى الخريف مثقَّلةٍ بالأسى والضجر
سكوت بها من ضياء النجوم وغنَّيْتُ للحُزْن حتى سكر
سألتُ الدجى : هل تُعيد الحياةُ لما أذبلته ربيعَ العمر ؟
فلم تتـكلّم شفاه الظـلام ولم تترنَّمْ عذارى السـحَر
وقال لىَ الغـابُ فى رِقة مُحبّبةٍ مثل خفْق الوتر :
« يجىء الشتاء ، شتاء الضباب ، شتاء الثلوج ، شتاء المطر »
« فينطفىء السِّحرُ ، سحر الغصون ، وسحر الزهور ، وسحر الثمر »
« وسحر السماء ، الشجىُّ ، الوديعُ ، وسحرُ المروج ، الشهىُّ ، العطِر »
« وتهوى الغصـونُ ، وأوراقُها وأزهارُ عهدٍ حبيبٍ نضِر »
« وتلهو بهـا الريح فى كل وادٍ ويدفنها السيلُ ، أنَّى عبر »
« ويفنى الجميعُ كحُلْمٍ بديع ، تألَّق فى مهجةٍ واندثر »
« وتبقى البـذورُ ، التى حُمِّلَتْ ذخيرةَ عُمْرٍ جميلٍ ، غَبَر »
« وذكرى فصولٍ ، ورؤيا حيـاةٍ ، وأشباحَ دنيا ، تلاشتْ زُمَر »
« معانقةً — وهى تحت الضباب ، وتحت الثلوج ، وتحت المَدَر — »

« لِطَيفِ الحياة الذى لا يُمَلُّ ، وقلبِ الربيع الشذىّ الخضِر »

« وحالمةً بأغانى الطيـــــور ، وعِطْرِ الزهور ، وطعمِ الثمر »

***

« ويمشى الزمان ، فتنمو صروف ، وتذوى صروف ، وتحيا أخَرَ »

« وتُصبِحُ أحلامها يقْظَـةً ، مُوَشَّحةً بغموض السَّحَر »

« تُسائل : أين ضباب الصباح ، وسِحْرُ المساء ؟ وضوء القمر ؟ »

« وأسرابُ ذاك الفَرَاشِ الأنيقِ ؟ ونحلٌ يغنّى ، وغيمٌ يمر ؟ »

« وأين الأشعَّةُ والـكائناتُ ؟ وأين الحيـاة التى أنتظر ؟ »

« ظمِئتُ إلى النور ، فوق الغصون ! ظمِئتُ إلى الظل تحت الشجر ! »

« ظمِئتُ إلى النبْع ، بين المروج ، يغنّى ، ويرقص فوق الزَّهَر ! »

« ظمِئتُ إلى نَغَمات الطيور ، وهَمْسِ النَّسيم ، ولحن المطر ! »

« ظمِئتُ إلى الـكون ! أين الوجودُ وأنَّى أرى العالَمَ المنتظر ؟ »

« هو الـكونُ ، خلف سبات الجمود ، وفى أُفُقِ اليقظات الـكُبَر »

***

« وما هو إلا كخفق الجناح حتى نمـا شوقُها وانتصر »

« فصدَّعت الأرضَ من فوقها وأبْصرت الـكونَ عذبَ الصُّوَر »

« وجاء الربيعُ ، بأنغامه . وأحـــلامه ، وصِباه العطِر »

« وقبَّلها قُبلاً فى الشفاه ، تعيد الشـباب الذى قد غبَر »

« وقال لها : قد مُنِحتِ الحياةَ ، وخُلِّدْتِ فى نسلِك المُدَّخَر »

« وباركَكِ النُّورُ ، فاستقبلى شبابَ الحياة وخِصْبَ العُمُر »

« ومن تعبد النورَ أحـلامُه ، يُبارِكُهُ النُّورُ أنى ظهر »

« إليكِ الفضاء ، إليكِ الضياء ، إليكِ الثرى ، الحالمَ ، المزدهر ! »

« إليكِ الجمالَ الذى لا يَبيدُ ! إليكِ الوجودَ ، الرحيبَ ، النضِر ! »

« فميدى — كما شئتِ — فوق الحقول ، بحلو الثمار وغضِّ الزَّهَر »

« وناجى النسيمَ ، وناجى الغيومَ ، وناجى النجومَ ، وناجى القمر »

« وناجى الحياة وأشواقَها ، وفتنةَ ، هـذا الوجود الأغر »

***

« وشفَّ الدجى عن جمالٍ عميقٍ ، يشُبُّ الخيالَ ، ويُذكى الفِـكَر »

« ومُدَّ على الـكون سِحرٌ غريبٌ ، يُصَرِّفه ساحر مقتدر »

« وضاءت شموعُ النجوم الوِضاء ، وضاع البَخُورُ ، بَخور الزَّهَر »

« ورفرف روحٌ ، غريبُ الجمال بأجنحةٍ من ضياء القمر »

« ورنَّ نشيدُ الحيـاة المقدَّسُ فى هيكلٍ ، حالمٍ ، قد سُحِر »

« وأعْلِنَ فى الـكون : أنَّ الطموحَ لهيبُ الحياةِ ، ورُوحُ الظفَر »

« إذا طمحتْ للحياة النفوس فلا بدَّ أنْ يستجيبَ القدر ! »

***

تحت الغصون

هاهنا ، فى خمائل الغاب ، تحت الزان والسنديان ، والزيتون
أنتِ أشهى من الحياة وأبهى من جمال الطبيعة الميمون
ما أرقّ الشبابَ ، فى جسمكِ الغضّ وفى جيدكِ ، البديعِ ، الثمين !
وأدقّ الجمالَ فى طرفكِ الساهى ، وفى ثغركِ الجميل ، الحزين !
وألذّ الحياةَ حين تغنين فأُصغى لصوتكِ المحزون
وأرى رُوحكِ الجميلةَ عِطراً ضايعاً فى حلاوة التلحين !
قد تغنيتِ منذ حين بصوت ناعمٍ ، حالمٍ ، شجىّ حنون
نَغَماً كالحياة عذباً عميقاً فى حنانٍ ، ورقةٍ ، وحنين
فإذا الكون قطعةٌ من نشيدٍ علوىّ ، منغمٍ ، موزون
فلمن كنتِ تُنشدين ؟ فقالتْ : « الضياء البنفسجىّ الحزين »
« للضّباب المورّد ، المتلاشى كخيالات حالمٍ ، مفتون
« للمساءِ المطلّ للشّفق الساجى ، لسحر الأسى ، وسحر السكون »
« للعبير الذى يرفرف فى الأفق ويفنى ، مثل المُنى ، فى سكون »
« للأغانى التى يرددها الراعى بمزماره الصغير ، الأمين »
« للربيع الذى يؤجّج فى الدنيا حياةَ الهوى ، وروحَ الحنين »
« ويوشّي الوجودَ بالسحر، والأحلام والزهر ، والشذى ، واللُّحون »

« فهو كأسٌ سحرية ، لرحيق الخلد قد صاغها إله الفنــون »

« قبّليني ، وأسْكِري ثغريَ الصادى وقلبى ، وفتنتى ، وجنونى »

« علّنى أستطيع أن أتغنى لجمال الدجى بوحى العيـون »

« آه ! ما أجمل الظلام ! وأقوى وحيه فى فؤادى المفتـون ! »

« أنظرى الليل فهو حلّة الأحلام يمشى على الذرى والحزون »

« واسمعى الغاب ، فهو قيثارةُ الـكون تغـنى لحبنـا الميمــون »

إن سِحر الضباب ، والليل ، والغاب بعيـد المدى ، قويُّ الفتون

« وجمال الظلام يعبق بالأحلام والحب . . فاسمعى ، والثمينى . . . »

. . . .

« آهِ ! ما أعذب الغرام ! وأحلى رنّةَ اللثم فى خشوع السكون ! »

***

. . . وسكرنا هناك . . . فى عالم الأحلام تحت السماء ، تحت الغصون . . .

وتوارى الوجود عنا بما فيه . . . وغبنا فى عالم مفتــون . . .

ونسينا الحياة ، والموت ، والـكون وما فيــه من مُنًى ومَنون

إلى الشّعب

أين ياشعبُ قلبُكَ الخافقُ الحسَّاسُ ؟ أين الطموحُ ، والأحــلامُ ؟

أين ياشعبُ ، روحُك الشاعرُ الفنَّانُ ؟ أين ، الخيــال والإلهامُ ؟

أين ياشعب ، فنُّك الساحرُ ، الخلاَّقُ ؟ أين الرسـومُ والأنغـام ؟

إنَّ يمّ الحياة يدوى حوالَيْكَ فأين المُغامِرُ ، المقــدام

أين عـزم الحياة ؟ لا شيء إلاّ الموتُ ، والصَّمتُ ، والأسى ، والظلام

عُمُرٌ ميِّتٌ ، وقلبٌ خواءٌ ودمٌ ، لا تثـيره الآلام

وحياةٌ ، تنام فى ظلمة الوادى وتنمو من فوقها الأوهام

أىُّ عيش هذا ، وأىُّ حياة ؟! (رُبَّ عَيْشٍ أخَفُّ منـه الحِمَام)

***

قد مشتْ حولَكَ الفصول وغنَّتكَ فــلم تبتهج ، ولم تترنَّمْ

ودَوَتْ فوقك العواصفُ والأنواء حتَّى أَوْشَكْتَ أن تتحطّم

وأطافَتْ بكَ الوحوشُ وناشتك فلم تضطرب ، ولم تتـألمْ

يا إلهى ! أما تحسُّ ؟ أما تشدو ؟ أما تشتـكى ؟ أما تتـكلَّمْ ؟

مَلَّ نهرُ الزّمانِ أيامَك الموتَي وأنقاضَ عُمْــرِكَ المتهدِّمْ

أنتَ لا ميِّت فيبلَي ، ولاحىٌّ فيمشى ، بل كائنٌ ، ليس يُفْهَمْ .

أبدًا يرمق الفـــراغَ بطرفٍ جامدٍ ، لا يرى العوالِمَ ، مُظلِمْ
أيُّ سِحْرٍ دهاكَ ! هل أنتَ مسحورٌ شـقيٌّ ؟ أو ماردٌ ، يتهـكَّمْ ؟

* * *

آهِ ! بل أنت فى الشعوب عجوزٌ ، فيلسوفٌ ، مُحطَّمٌ فى إهابه
ماتَ شوقُ الشباب فى قلبِه الذاوى ، وعزمُ الحيـــاة فى أعصابه
فمضى ينشد السلامَ . . ، بعيداً . . . فى « قبور الزمان » خلفَ هضابه
وهناكَ . اصطفى البقاءَ مع الأموات ، فى « قبر أمسه » غيرَ آبِه . . .
وارتضى القبرَ مسكنًا ، تتلاشى فيه أيامُ عُمْـــــرِهِ المُتشابِهْ
وتناسى الحياةَ ، والزَّمنَ الذَّاوى وما كانَ مِنْ قـديمِ رِغابِهْ
فالزَمِ القبرَ . . . فهو بيتٌ ، شبيهٌ بكَ فى صمت قلبِه ، وخرابِه
واعْبدِ « الأمسَ » وادَّكِرْ صُوَرَ الماضى فدُنيَا العجوز ذِكرى شبابِهْ . . .

* * *

وإذا مرَّت الحياةُ حواليْكَ جميلاً ، كالزهرِ غضًّا صِباها
تتغنّى الحياة بالشوق والعزم فيُحْيِى قلبَ الجماد غِناها
والربيعُ الجميلُ يرقص فوق الورد ، والعشب ، مُنْشِدًا ، تيَّاها
ومشى الناسُ خلفها ، يتملّوْنَ جمالَ الوجـــود فى مَرْآها
فاحْذَرْ السِّحْرَ أيها الناسكُ القِدّيسُ ، إنَّ الحياةَ يُغْوى بَهاها
والربيعُ الفنَّانُ شاعِرُها المفتونُ يُغْرِى بحبهـــا وهواها
وتملَّ الجمالَ فى رِمَم الموتى . . ! بعيدًا عن سِحرها وصداها

وتغزّلْ بسحر أيامِكَ الأولى ، وخَلِّ الحيـــــاةَ تخطو خطاها

* * *

وإذا هبَّت الطيورُ مع الفجر ، تُغنِّي بين المروج الجميـلهْ
وتُحَيِّي الحيـاةَ ، والعـالَمَ الحيَّ ، بصوتِ المحبَّـةِ المعسـولهْ
والفراشُ الجميلُ رفرَفَ في الروض ، يناجي زهـورَهُ المطلولهْ
وأفاقَ الوجودُ لِلعمل المُجْدِي وللسَّعيِ ، والمعـاني الجليلهْ
ومشى الناسُ في الشِّعاب ، وفي الغاب وفوقَ المسالكِ المجهـولهْ
ينشدون الجمالَ ، والنورَ ، والأفراحَ والمجدَ ، والحيـاةَ النبيلهْ
فاغضُضِ الطرفَ في الظلامِ ! وحاذرْ فِتْنَةَ النُّورِ .. ! فهي رُؤْيَا مَهولَةْ ...
وصباحُ الحياةِ لا يُوقِظُ الموتَى ولا يرحمُ الجفونَ الكليلهْ

* * *

كلُّ شيءٍ يُعاطِف العالَمَ الحيَّ ، ويُذكِي حيـاتَهُ ، ويُعيدُهْ
والذي لا يُجاوِبُ الكونَ بالإحساس عِبءٌ على الوجود ، وُجودُهْ
كلُّ شيءٍ يُسايرُ الزمنَ الماشي بعزمٍ ، حتى الترابُ ، ودودُهْ
كلُّ شيءٍ ـــ إلاّكَ ـــ حيٌّ ، عطوفٌ يُؤنِسُ الكونَ شَوْقُه ، ونَشيدُهْ
فلماذا تعيش في الكون ياصاحِ ! وما فيكَ من جنًى يستفيدُهْ
لستَ يا شيخُ للحياةِ بأهلٍ أنت داءٌ يُبيدُها وتُبيدُهْ
أنت قفرٌ جهنميٌّ لعينٌ ، مُظلمٌ ، قاحلٌ ، مُريعٌ جمودُهْ

لا ترفُّ الحياةُ فيه، فلا طيرٌ يُغنِّي، ولا سحابٌ يجُودُه

***

أنتَ يا كاهنَ الظلامِ حياةٌ تعبد الموتَ..! أنت روحٌ شقيٌّ
كافرٌ بالحياةِ والنُّورِ.. لا يُصغى إلى الكون قلبُه الحجَرِيُّ
أنتَ قلبٌ، لا شوقَ فيه ولا عزمَ وهذا داءُ الحياةِ الدَّوِيُّ
أنتَ دنيا، يُظِلُّها أُفُقُ الماضى وليلُ الكآبةِ الأبديُّ
مات فيها الزمانُ، والكونُ إلاَّ أمسُها الغابرُ، القديمُ، القصِيُّ
والشقيُّ الشقيُّ فى الأرض قلبٌ يومُهُ ميِّتٌ، وماضيه حيُّ
أنتَ لا شيءَ فى الوجودِ، فغادرْهُ إلى الموت فهْوَ عنك غَنِيُّ

النّاس

ما قدَّسَ المثَلَ الأعلى وجمَّلَه فى أعيُنِ الناس إلاَّ أنه حلم!
ولو مشى فيهم حيًّا لحطَّمه قومٌ، وقالوا بخبثٍ: «إنه صنمْ»!
لا يعبد الناسُ إلا كلَّ منعدمٍ مُمنَّعٍ، ولمَنْ حاباهُمُ العدم!
حتى العباقرةُ الأفذاذ، حبُّهم يلقَى الشقاء، وتلقَى مجدَها الرِّمَمُ!

***

الناس لا ينصفون الحيَّ بينهمُ حتَّى إذا ما توارى عنهمُ ندموا!
الويل للناس من أهوائهم! أبدًا يمشى الزمانُ وريح الشر تحتدم...

نشيد الجبار

أو هكذا غنى برومثيوس

سأعيش رغمَ الداءِ والأعداءِ كالنسرِ فوق القِمَّةِ الشماء
أرنو إلى الشمس المضيئة . . ، هازئاً بالسُّحْب ، والأمطار ، والأنواء . . .
لا أرمقُ الظلَّ الكئيب . . ، ولا أرى ما فى قرار الهُوَّةِ السوداء . . .
وأسيرُ فى دنيا المشاعر ، حالماً ، غرِداً — وتلك سعادة الشعراء —
أُصغِى لموسيقى الحياة ، ووحيها وأذيب روحَ الكون فى إنشائى
وأُصيخُ للصوت الإلهىِّ ، الذى يُحيي بقلبى ميتَ الأصداء

***

وأقول للقدر الذى لا ينثنى عن حرب آمالى بكل بلاء :
« لا يطفىء اللهبَ المؤجَّج فى دمى موجُ الأسى ، وعواصف الأرزاء »
« فاهدم فؤادى ما استطعتَ ، فإنه سيكون مثل الصخرة الصماء »
« لا يعرف الشكوى الذليلةَ والبكا ، وضَراعَةَ الأطفال والضعفاء »
« ويعيش جبَّاراً ، يحدِّق دائماً بالفجر . . ، بالفجر الجميل ، النائى »
« واملأ طريقى بالمخاوفِ ، والدجى ، وزوابعِ الأشواك ، والحصباء »
« وانشر عليه الرُّعبَ ، وانثر فوقه رُجمَ الرَّدى ، وصواعقَ البأساء »

« سأظل أمشي رغم ذلك ، عازفاً قيثارتي ، مترنِّماً بغنائي »
« أمشي بروح حالمٍ ، مُتَوَهِّجٍ في ظلمة الآلام والأدواء »
« النور في قلبِي وبين جوانحي فعلام أخشى السير في الظلماء ! »
« إني أنا النايُ الذي لا تنتهي أنغامه ، مادام في الأحياء »
« وأنا الخضمُّ الرحْبُ ، ليس تزيده إلا حياةً سطوةُ الأنواء »
« أمّا إذا خمدت حياتي ، وانقضى عُمُري ، وأخرست المنيَّةُ نائي »
« وخبا لهيبُ الكون في قلبي الذي قد عاش مثلَ الشعلة الحمراء »
« فأنا السعيد بأنني مُتَحَوِّلٌ عن عالم الآثام ، والبغضاء »
« لِأذوبَ في فجر الجمال السرمديِّ وأرتوي من مَنْهَلِ الأضواء »

* * *

وأقولُ للجمع الذين تجشَّموا هدمِي وودُّوا لو يخرُّ بنائي
ورأَوْا على الأشواك ظلِّي هامِدًا فتخيَّلُوا أنِّي قضيتُ ذَمائي
وغدَوْا يَشُبُّونَ اللهيبَ بكلِّ ما وجدوا . . ، ليشوُوا فوقه أشلائي
ومضَوْا يمدُّون الخوان ، ليأكلوا لحمي ، ويرتشفوا عليه دمائي
إني أقول لهم — ووجهي مشرقٌ وعلى شفاهي بسمةُ استهزاء — :
« إن المعاول لا تهد مناكبي والنار لا تأتي على أعضائي »
« فارموا إلى النار الحشائش . . ، والعبوا يا معشر الأطفال تحت سمائي »
« وإذا تمرَّدت العواصف ، وانتشى بالهول قلب القبة الزرقاء »
« ورأيتموني طائرًا ، مترنِّماً فوق الزوابع ، في الفضاء النائي »

« فارموا على ظلى الحجارة . ، واختفوا خوفَ الرياحِ الهُوجِ والأنواء . . . »

« وهناك ، فى أمْنِ البيوت ، تطارحوا غَثَّ الحديث ، وميِّتَ الآراء »

« وترنَّموا — ماشئتمُ — بشتائمى وتجاهروا — ماشئتم — بعِدائى »

« أما أنا فأجيبكم من فوقكم والشمسُ والشفقُ الجميل إزائى : »

« من جاش بالوحىِ المقدَّسِ قلبُه لم يحتفِلْ بحجـــارة الفلتاء »

زوبعة فى ظلام

لو كانت الأيام فى قبضتى أذريتها للريح ، مثل الرمال

وقلت : « ياريح ، بها فاذهبى وبدِّديها فى سحيق الجبال »

« بل فى فجاج الموت . . فى عالَمٍ لا يرقص النور به والظِّلال . . »

***

لو كان هذا الكون فى قبضتى ألقيْتُه فى النار ، نار الجحيمْ

ما هذه الدنيا ، وهذا الورى وذلك الأفق ، وتلك النجوم ؟

النار أوْلى بعبيد الأسى ، ومسرح الموت ، وعُشِّ الهموم

***

يا أيها الماضى الذى قد قضى وضمَّهُ الموتُ ، وليلُ الأبدْ !

يا حاضر الناس الذى لم يزُل ! يا أيها الآتى الذى لم يلد !

سخافةٌ دنياكم هــذه تائهةٌ فى ظلمة لا تُحَد . . !

الاعتراف

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبى — ومشاعرى عمياء بالأحزان —
أنّي سأظمأ للحياة ، وأحتسى من نهـرها المتوهِّج النشوان
وأعـودُ للدنيا بقلبٍ خافقٍ للحبِّ ، والأفراح ، والألحان
ولـكل ما فى الـكون من صور المنى وغرائب الأهواء والأشـجان
حتى تحركت السنون ، وأقبلت فتن الحيـــــاة بسحرها الفنّان
فإذا أنا مازلت طفلاً ، مولعاً بتعقُّب الأضـواء والألوان
وإذا التشاؤم بالحياة ورفضُها ضربٌ من البهتان والهذيان
إن ابن آدمَ فى قرارة نفسـه عبدُ الحياة الصادقُ الإيمان

حرم الأمومة

الأمُّ تلثم طفلَها ، وتضـمُّه حرَمٌ ، سماوىُّ الجمال ، مقدّسُ
تتأله الأفـكارُ . وهى جوارَه وتعود طاهرةً هناك الأنفُس
حرَمُ الحياة بظهرها وحنانها هل فوقه حرَمٌ أجلُّ وأقدس ؟
بوركتَ ياحرَمَ الأمومةِ والصِّبا كم فيك تـكتمل الحياةُ وتقدُس

قلبُ الشاعِر

كل ماهبَّ ، وما دبَّ ، وما　　نام ، أو حام على هذا الوجودْ

من طيورٍ ، وزهورٍ ، وشذى　　وينابيعَ ، وأغصان تميد

وبحارٍ ، وكهوفٍ ، وذُرى　　وبراكينَ ، ووديانٍ ، وبيد

وضياء ، وظلالٍ ، ودجى ،　　وفصول ، وغيوم ، ورعود

وثلوج ، وضبابٍ عابرٍ ،　　وأعاصيرَ ، وأمطارٍ تجود

وتعاليمَ ، ودين ، ورؤى ،　　وأحاسيس ، وصمتٍ ، ونشيد

كلُّها تحيا بقلبي ، حُرَّةً　　غضة السحر ، كأطفال الخلود

***

ها هنا ، في قلبيَ الرحبِ ، العميق　　يرقص الموتُ وأطيافُ الوجود

ها هنا ، تعصف أهوال الدجى　　ها هنا ، تخفق أحلام الورود

ها هنا ، تهتف أصداء الفنا　　ها هنا ، تُعزَفُ ألحانُ الخلود

ها هنا ، تمشي الأماني ، والهوى ،　　والأسى ، في موكبٍ فَخْمِ النشيد

ها هنا الفجر الذي لا ينتهي　　ها هنا الليل الذي ليس يبيد

ها هنا ، ألفُ خِضمٍّ ، ثائرٍ　　خالدِ الثورةِ ، مجهولِ الحدود

ها هنا ، في كلِّ آنٍ تمَّحي　　صُوَرُ الدنيا ، وتبدو من جديد

الدنيا الميتة

إني أرى . . ، فأرى جموعًا جَمَّةً لكنها تحيـــــا بِلاَ أَلْبَاب
يدوى حوالَيها الزمان ، كأنما يدوى حوالَى جنـدل وتراب
وإذا استجابوا للزمان تناكروا وترشقوا بالشـوك والأحصاب
وقضَوْا على روح الأخوّة بينهم جهلاً وعاشوا عِيشةَ الأغراب
فَرحتْ بهم غولُ التعاسة والفنا ومطامعُ السّـــلاّب والغلاّب
لُعبٌ ، تحركها المطامعُ ، واللُّهى وصغائرُ الأحقـــــاد والآراب
وأرى نفوسًا ، من دُخانٍ ، جامدٍ مَيْتٍ ، كأشباحٍ ، وراء ضباب
مَوْتَى ، نَسُوا شوقَ الحياة وعزمَها وتحرّكوا كتحرُّك الأنصـاب
وخَبَا بِهِمْ لَهَبُ الوجود ، فما بَقُوا إلاّ كمحترقٍ من الأخشاب
لا قلبَ يقتحمُ الحياةَ ، ولا حِجًى يسـمو سُمُوَّ الطائر الجوَّاب
بل فى التراب المَيْتِ ، حَزْن الثرى تنمو مشاعرُهم مع الأعشاب
وتموت خاملةً ، كزهرٍ بائس ينمو ويذْبُل فى ظلام الغاب
أبدًا تُحدِّقُ فى التراب . . ، ولا ترَى نورَ السماء . . ، فروحُها كتراب . . !
الشـاعر الموهوبُ يُهرِق فنَّه هدرًا على الأقـدام والأعقاب
ويعيش فى كونٍ ، عقيمٍ ، ميِّتِ قد شـيَّدته غباوةُ الأحقاب
والعالِم النِّحرير يُنفِقُ عُمْرَه فى فهم ألفاظٍ ، ودرس كتاب

يَحيا على رِمَمِ القديمِ المُجتَوَى كالدُّود فى حَمَمِ الرَّماد الخابى
والشَّعبُ بينهما قطيعٌ ضائعٌ دنياه دنيـا مأكلٍ وشراب

***

الوَيْـلُ للحسَّاس فى دنياهم ماذا يُلاقى من أسًى وعذاب !

إلى طغاة العالم

ألا أيهـا الظالم المستبدُّ حبيبُ الظلام ، عدوُّ الحياهْ
سخرتَ بأنات شعب ضعيف وكفك مخضوبة من دماه
وسرتَ تُشوِّه سِحْرَ الوجود وتبذر شوكَ الأسى فى رُباهُ

***

رُوَيدكَ ! لا يخدعنك الربيعُ وصحوُ الفضاء ، وضوء الصباح
ففى الأفق الرحب هولُ الظلام وقصفُ الرعود ، وعصف الرياح
حذارِ ! فتحت الرماد اللهيبُ ومن يبذر الشوك يجنِ الجراح

***

تأمل ! هنالك . . أنَّى حصدتَ رءوسَ الورى ، وزهورَ الأملْ
ورويت بالدم قلبَ التراب وأشربته الدمعَ ، حتى ثمل
سيجرفكَ السيلُ ، سيلُ الدماء ويأكلُك العاصفُ المشتعِل

شكوى ضائعة

يا ليل ! ماتصنع النفسُ التى سكنت هذا الوجودَ ، ومِنْ أعدائها القدر ؟

ترضى وتسكت ؟ هذا غير محتمل ! إذاً ، فهل ترفض الدنيا ، وتنتحر ؟

وذا جنونٌ لَعَمْرِى ، كلُّه جزَعٌ باكٍ ، ورأىٌ مريضٌ ، كلُّه خوَر !

فإنمـا الموت ضربٌ من حبائله لا يُفلت الخَلقُ ماعاشوا ، فما النظر ؟

هذا هو اللغزُ ، عَمَّاهُ وعَقَّدَه على الخليقة ، وحشٌ ، فاتكٌ حذِر

قد كبَّلَ القدرُ الضارى فرائسَه فما استطاعوا له دفعًا ، ولا حَزَروا

وخاطَ أعينَهم ، كى لا تشاهده عينٌ ، فتعلم ما يأتى وما يذر

وحاطهم بفنونٍ من حبائله فما لهم أبدًا من بطشـه وزَر

لا الموت يُنقذهم من هول صولته ولا الحياةُ . تَساوى الناسُ والحجر !

حَارَ المساكينُ ، وارتاعوا ، وأعجزَهم أن يحذروه ، وهل يُجديهم الحذر

وهم يعيشون فى دنيا مشيَّدةٍ من الخطوب ، وكونٍ كلُّه خطر ؟

وكيف يحذر أعمى ، مُدْلِجٌ ، تَعِبٌ ، هولَ الظلام ، ولا عزمٌ ولا بصَرُ ؟

قد أيقنوا أنه لا شىء يُنقذهم فاستسلموا لـكون الرعب ، وانتظروا ..

ولو رأوه لسارت كي تحاربه ... من الورى زُمَرٌ ، في إثرها زمر

وثارت الجنّ ، والأملاك ناقمـةً ... والبحرُ ، والبرُّ ، والأفلاكُ ، والعُصُر

لـكنه قوّةٌ تمـلي إرادتهـا ... سرًّا ، فتعنُوا لهـا قهرًا ، ونأتمر

حقيقة ، مُرّةٌ ، ياليـل ، مُبْغَضَةٌ ... كالموت ، لـكنْ إليها الوِرْدُ الصَّدَرُ

* * *

تنهّدَ الليلُ ، حتى قلتُ : «قد نُثِرَتْ ... تلك النجومُ ، ومات الجنُّ والبشر»

وعاد للصمت .. ، يصغي في كآبته ... ـ كالفيلسوف ـ إلى الدنيا، ويفتكر..

وقهْقَهَ القدرُ الجبّـارُ ، سخريةً ... بالـكائنات . تضاحكْ أيُّها القدر !

تمشي إلى العدمَ المحتوم ، باكيةً ... طوائفُ الخلق والأشكالُ والصور

وأنتَ فوقَ الأسى والموتِ ، مبتسمٌ ... ترنو إلى الـكون ، يُبْني ، ثمَّ يندثر

الغــاب

بيتٌ ، بَنَتْه لىَ الحياةُ من الشذَى ، والظل ، والأضواء ، والأنغـام
بيتٌ ، من السحر الجميل ، مُشيَّدٌ للحبِّ ، والأحـلام ، والإلهام
فى الغاب سحرٌ ، رائعٌ مُتجدِّدٌ باقٍ على الأيام والأعـــوام
وشذًى كأجنحة الملائك ، غامضٌ ساهٍ يُرفرف فى سكونٍ سام
وجداولٌ ، تشدو بمعسول الغِنـا وتسيرُ حالمةً ، بغـير نظام
ومخارفٌ نسجَ الزمانُ بساطها من يابسِ الأوراق والأكام
وحنَا عليها الدَّوْحُ ، فى جبروته بالظلِّ ، والأغصان والأنسام
فى الغاب ، فى تلك المخارف ، والرُّبا ، وعلى التِّلاعِ الخُضرِ ، والآجام
كم من مشاعرَ ، حلوةٍ ، مجهولةٍ سَكْرَى ، ومن فِكَرٍ ، ومن أوهام
غنّتْ ، كأسراب الطيور ، ورفرفت حولى ، وذابت كالدخان ، أمامى
ولَـكَمْ أصخْتُ إلى أناشيد الأسى وتنهُّدِ الآلام والأسـقام
و إلى الرياح النائحات كأنهـا فى الغـاب تبـكى مَيِّتَ الأيام
و إلى الشباب ، مُغَنِّيًا ، مُتَرَنِّمًا حولى بألحان الغرام الظامي
وسمعتُ للطير ، المغرِّد فى الفضا والسِّنديان ، الشامخ ، المتسامى
و إلى أناشيد الرعاة ، مُرِفّةً فى الغاب ، شاديةً كسِرب يَمام
و إلى الصدى ، المِمراح ، يهتف راقصًا بين الفجـاج الفيح والآكام

حتى غدا قلبي كناي ، مُترَعٍ ثَمِلٍ من الألحـان والأنغام
فشدوتُ باللحن الغريب مُجَنَّحًا بكآبةِ الأحــلام والآلام
فى الغاب ، دنيا للخيال ، وللرُّؤى ، والشعرِ ، والتفكيرِ ، والأحلام
لله يومَ مضيتُ أولَ مرَّةٍ للغاب ، أرزحُ تحت عبء سقامى
ودخلتُه وحدى ، وحوْلِي موكبٌ هَزِجٌ ، من الأحلام والأوهام
ومشيْتُ تحت ظِـلاله مُتهَيِّباً كالطفل ، فى صَمْتٍ ، وفى استسلام
أرنو إلى الأدْوَاحِ ، فى جبروتها فإخالها عَمَدَ السماءِ ، أمامي
قد مسَّها سِحْرُ الحياة ، فأوْرقَتْ وتمَايلَتْ فى جَنَّـةِ الأحـلام
وأُصيخُ للصَّمْتِ المفكِّر ، هاتفاً فى مِسمعى بغرائب الأنغـام
فإذا أنا فى نَشْوَةٍ شـعريَّةٍ فيَّاضـةٍ بالوحى والإلهام
(١)
ومشاعرى فى يقظةٍ مسـحورةٍ
وَسْنَى ، كيقظة آدم لمَّا سَرَى فى جسمه رُوحُ الحياة النامى
وشَجَتْه موسيقى الوجودِ ، وعانقتْ أحلامَه ، فى رقَّةٍ وسلام
ورأى الفراديسَ ، الأنيقةَ ، تنثنى فى مُتْرَفِ الأزهار والأكمام
ورأى الملائكَ ، كالأشعَّة فى الفضا تنسابُ سـابحةً ، بغير نظام
وأحسَّ رُوحَ الـكون تخفق حوله فى الظِّلِّ ، والأضواء ، والأنسام
والـكائناتِ ، تحوطـه بحنانها وبحبِّها ، الرحبِ ، العميقِ ، الطامى
حتى تملَّأَ بالحيـاة كيانُه وسعى وراء مواكبِ الأيام

(١) بياض بالأصل والمسودات .

وَلَرُبَّ صُبْحٍ غائمٍ ، مُتحجِّبٍ   في كِلَّةٍ من زَعْزَعٍ وغَمام
تتنفَّسُ الدنيا ضبـــابًا ، هائمًا   مُتدفعا في أفقـه المُترامي
والرِّيحُ تخفق في الفضاء ، وفي الثرى   وعلى الجبال الشُّمِّ ، والآكام
باكَرْتُ فيه الغاب مَوْهُونَ القُوَى   متخاذِلَ الخُطُوَات والأقـدام
وجلستُ تحتَ السنديانة ، واجمًا   أرنو إلى الأفُق الـكئيب ، أمامي
فأرى المبانيَ في الضباب ، كأنها   فِـكَرٌ ، بأرض الشكِّ والإبهام
أو عالَمٌ ، مازال يُولَدُ في فضاء   الـكونِ ، بين غياهبٍ وسِدام
وأرى الفجاجَ الدامساتِ ، خلاله   ومشـاهدَ الوديان والآجام
فـكأنها شُعَبُ الجحيم ، رهيبةً   ملفوفةً في غُبشـةٍ وظلام
صُوَرٌ ، من الفنِّ المُرَوِّعِ ، أعجزت   وَحْيَ القريضِ وريشةَ الرسام
ولـكَمْ مسـاء ، حالمٍ متوشِّحٍ   بالظل ، والضوء الحزين الدامي
قدسرتُ في غابي ، كفـكرٍ ، هائمٍ   في نشوةِ الأحـلام والإلهام
شَعَرِي ، وأفكاري ، وكُلُّ مشاعري   منشورةٌ للنُّـور والأنسام
والأفْقُ يزخر بالأشِعّةِ والشذَى   والأرضُ بالأعشـاب والأكمام
والغابُ ساجٍ ، والحياةُ مصيخةٌ   والأفْقُ ، والشفقُ الجميلُ ، أمامي
وعروسُ أحلامي تُداعبُ عُودَها   فيَرِنُّ قلبي بالصَّدَى وعِظامي
روحٌ أنا ، مسحورةٌ ، في عالَمٍ   فوق الزمان الزاخر الدَّوَّام

***

في الغاب ، في الغاب الحبيب ، وإنَّه   حَرَمُ الطبيعةِ والجمالِ السـامي
طَهَّرْتُ في نار الجمال مشـاعري   ولقِيتُ في دنيا الخيال سَلامي

وَنَسِيتُ دنيا الناس ، فهي سخافةٌ سَكْرَى من الأوهام والآثام !
وقَبستُ من عَطْفِ الوجود وحُبِّه وجمالِه قبساً ، أضاء ظلامى
فرأيتُ ألوان الحياة نضيرةً كنضارة الزَّهَرِ الجميلِ النامى
ووجدتُ سِحْرَ الكون أسمى عنصراً وأجلَّ من حزَنى ومن آلامى
فأَهَبْتُ ـ مسحورَ المشاعر ، حالماً نشوانَ ـ بالقلب الكئيب الدامى :
« العبدُ الحيُّ المقدَّسُ هاهنا ! يا كاهنَ الأحزان والآلام »
« فاخلعْ مُسوحَ الحزن تحت ظِلاله والبسْ رداءَ الشعر والأحلام »
« وارفعْ صلاتَكَ للجمال ، عميقةً مشبوبةً بحرارة الإلهام »
« واصدحْ بألحان الحياة ، جميلةً كجمال هذا العالم البسّام »
« واخفقْ مع العِطر المرفرفِ في الفضا وارقصْ مع الأضواء والأنسام »
« ومع الينابيعِ الطليقةِ والصَّدَى ، . . . . . »[1]
وذَرَوْتُ أفكارى الحزينةَ للدجى ونثرتُها لعواصفِ الأيام
ومضيتُ أشدُو للأشعَّةِ ساخراً من صوت أحزانى ، و بطش سقامى
وهتفتُ : « ياروحَ الجمالِ ! تَدَفَّقِي كالنَّهرِ في فِكرِى ، وفى أحلامى »
« وتغلغلى كالنور ، فى رُوحى التى ذَبُلَتْ من الأحزان والآلام »
« أنتِ الشعورُ الحيُّ يزخر دافقاً كالنار ، فى روح الوجود النامى »
« و يصوغ أحلام الطبيعةِ ، فاجعلى عُمْرِى نشيداً ، ساحرَ الأنغام »
« وشذاً يَضُوعُ مع الأشعَّةِ والرُّؤَى فى معبد الحق الجليل السامى »

---

(١) بياض بالأصل والمسودات .

فلسفة الثعبان المقدس

فلسفة الثعبان المقدس هى فلسفة القوة المثقفة فى كل مكان . وكما تحدث الثعبان فى القطعة التالية إلى الشحرور بلغة الفلسفة المتصوفة حينما حاول أن يزين له الهلاك الذى أوقعه فيه ، فسماه « تضحية » وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس . . .

كذلك تتحدث اليوم سياسة الغرب إلى الشعوب الضعيفة بلغة الشعر والأحلام حينما تحاول أن تسوغ طريقتها فى ابتلاعها والعمل لقتل ميزاتها القومية فتسميها : « سياسة الإدماج » وتتكلم عنها كالسبيل الوحيد الذى لا معدى عنه لهاته الشعوب إذا أرادت نيل حقوقها فى هذا العالم ، وبلوغ الكمال الإنسانى المنشود ، ولكن الفناء حقيقة شنيعة . مبغضة ، لاينقص من فظاعتها وكرهها كل ما فى التصوف والفلسفة والشعر من خيال وأحلام » .

كان الربيعُ الحىُّ روحاً ، حالماً غضَّ الشباب ، معطَّرَ الجلباب
يمشى على الدنيا ، بفكرة شاعرٍ ويطوفها ، فى موكبٍ خلّاب
والأُفْقُ يملأه الحنانُ ، كأنّه قلبُ الوجود المنتِجِ الوهّاب
والكون من طُهرِ الحياة كأنما هُوَ معبدٌ ، والغابُ كالمحراب
والشاعرُ الشحرورُ يرقص ، منشداً للشمس ، فوقَ الوردِ والأعشاب

شعْرَ السعادة والسلام ، ونفسُه   سَكْرَى بسِحْرِ العالَم الخلاّب

ورآه ثعبانُ الجبــال ، فغمَّه   ما فيه من مَرَحٍ ، وفَيْضِ شباب

وانقضّ ، مُضْطَغِنًا ، كأنَّه   سوطُ القضاء ، ولعنةُ الأرباب

بُغِتَ الشقيُّ ، فصاح فى هول القضا   متلفِّتًا للصــائل المُنْتَابِ

وتدفّقَ المسكينُ يصرخ ثائرًا :   « ماذا جنيتُ أنا لحق عقابى ! »

« لاشيءَ ، إلا أننى متغــزلٌ   بالـكائنات ، مغرِّدٌ فى غابى »

« ألقى من الدنيا حنانا طاهرًا   وأبثُّها نجوى المحبِّ الصابى »

« أيُعَدُّ هذا فى الوجود جريمةً ؟ !   أين العدالةُ يارفاقَ شبابى ؟ »

« لا [أين؟] ، فالشرعُ المقدَّسُ هاهنا   رأىُ القوىِّ ، وفكرةُ الغلاّب ! »

« وسعادةُ الضعفاء جُرْمٌ . . ، ماله   عند القوىِّ سوى أشدِّ عقاب ! »

« ولتشهد الدنيــا التى غنّيْتُهَا   حلمَ الشباب ، وروعةَ الإعجاب »

« إن السلامَ حقيقةٌ ، مكذوبةٌ   والعدلَ فلسفةُ اللهيب الخابى »

« لاعدلَ ، إلا إنْ تعادلت القُوَى   وتَصادَمَ الإرهابُ بالإرهاب »

فتَبَسَّمَ الثعبانُ بسـمةَ هازىءٍ   وأجاب فى سَمْتٍ ، وفَرْطِ كِذابِ :

« ياأيها الغِــرُّ المثرثر ، إننى   أرثى لثـورة جهلكَ الثلاّب »

« والغِرُّ يعذره الحكيمُ إذا طغى   جهلُ الصِّبا فى قلبه الوثّاب »

« فاكبحْ عواطفَكَ الجوامحَ ، إنها   شردتْ بلُبِّكَ ، واستمعْ لخطابى »

« إنى إلهٌ ، طالمَا عَبَدَ الورى   ظلِّى ، وخافوا لعنتى وعقابى »

« وتقدَّموا لى بالضحايا منهمُ   فرِحين ، شأنَ العابد الأوّاب »

« وسعادةُ النفسِ التقيَّة أنّها يومًا تكونُ ضحيَّة الأرباب »
« فتصير فى رُوحِ الألوهةِ بضعةً ، قُدُسِيَّةً ، خلَصت من الأوشاب »
« أفلا يسرُّكَ أنْ تكون ضحيَّتى فتحُلَّ فى لحمى وفى أعصابى »
« وتكونَ عزمًا فى دمى ، وتوهُّجًا فى ناظرَىَّ ، وحِدَّةً فى نابى »
« وتذوبَ فى رُوحِى التى لا تنتهى وتصيرَ بَعضَ ألوهتى وشبابى . . ؟ »
« إنّي أردتُ لكَ الخلودَ مؤلَّهًا فى روحىَ الباقى على الأحقاب . . »
« فَكِّرْ ، لتدركَ ما أريدُ ، وإنه أسمى من العيش القصير النابى »
« فأجابه الشحرورُ ، فى غُصَصِ الرَّدى والموتُ يخنقه : « إليكَ جوابى : »
« لا رَأْىَ للحقِّ الضعيفِ ، ولا صدًى ، والرَّأْىُ ، رأْىُ القاهرِ الغلَّاب »
« فافعلْ مشيئتكَ التى قد شئتَها وارحمْ جلالكَ من سماع خطابى . . »

***

وكذاك تتخـــــذ المظالمُ منطقًا عذبًا لتخفى ســـــوْءَةَ الآراب

الفهرس

« وسعادةُ النفسِ التقيَّة أنّها يومًا تكونُ ضحيَّة الأرباب »
« فتصير فى رُوحِ الألوهةِ بضعةً ، قُدُسيَّةً ، خلصتْ من الأوشاب »
« أفلا يسرُّكَ أنْ تكون ضحيَّتى فتحلُّ فى لحمى وفى أعصابى »
« وتكونَ عزمًا فى دمى ، وتوهُّجًا فى ناظرَىَّ ، وحِدَّةً فى نابى »
« وتذوبَ فى رُوحى التى لا تنتهى وتصيرَ بعضَ ألوهتى وشبابى . . ؟ »
« إنّي أردتُ لكَ الخلودَ مؤلَّهًا فى روحىَ الباقى على الأحقاب . . »
« فكِّرْ ، لتدركَ ما أريدُ ، وإنّه أسمى من العيش القصير النابى »
« فأجابه الشحرورُ ، فى غُصَصِ الرَّدى والموتُ يخنقه : « إليكَ جوابى : »
« لا رَأْىَ للحقِّ الضعيفِ ، ولا صدًى ، والرَّأْىُ ، رأْىُ القاهرِ الغلَّاب »
« فافعلْ مشيئتكَ التى قد شئتَها وارحمْ جلالكَ من سماع خطابى . . »

***

وكذاك تتخـــذ المظالمُ منطقًا عذبًا لتخفى ســـوْءَة الآراب

الفهرس